رضوى أحمد
نوفيلا
Des:Touba
صفقة حب
الروايات الرومانسية

صفقة حب

بقلم : رضوى أحمد

تصميم غلاف : 7ouba

تصميم الداخلي : 7ouba

التعبئة و التنسيق : 7ouba

التدقيق اللغوي : ضحى حماد

كان ينظر من علياءه.. عبر تلك النوافذ الزجاجية لمكتبه .. على رذاذ الأمطار .. الذى بدأت زخاته.. تحجب الرؤية .. عن العالم الخارجى ..

كان يقف فى ثبات .. يضع يده فى جيب بنطاله .. وباليد الاخرى .. يستند على ظهر كرسى مكتبه .. وهو يراقب .. ما يحدث .. بالأسفل .. حيث الطريق المكتظ .. والكثير من الأشخاص .. الذين يهرولون.. رغبة فى اتقاء المطر ..

الا خيالاً... لم يميزه .. فاقترب قليلا يلتصق بالزجاج .. ليشاهد تلك الفتاة .. وهى تتقافز بفرحة تحت زخات المطر التى .. يهرول منها الكثيرين .. هى فقط من كانت

تحتضن الأمطار مرحبة .. وتقفز مهللة لقطراتها .. ابتسم فى حبور .. لمرأها ..وظل يتابعها .. وهى تمرح بكل أريحية ..ترفع وجهها للسماء .. كطقس مقدس ... تتبعه لنيل بركات المطر ....

أفاق من شروده .. على صوت قرعات سريعة على باب مكتبه .. ثم دخول الطارق .. دون ان يأذن له هاتفاً:-

صباح الخير ..محسن

-صباح الخير ... منير ..

-الجو بالخارج ممطر وموحل... ما كان لك ان تأتى اليوم .. قالها منير .. وهو يضع بعض الأوراق على المكتب .. ورغم عفوية حديثه .. الا انه مس وترا حساسا فى داخل محسن .. جعله يهتف فى غضب-:

الم اخبرك الف مرة .. ألا تأتى .... على ذكر تلك السيرة !!؟..

-أى سيرة ..!!؟؟..سأل منير متعجباً ..

-سيرة مرضى ....وما يجب ان افعل .. ولا أفعل..

-انا لم أتى على ذكرها .. ولن افعل .. انا فقط أشفق عليك من جو كهذا ليس اكثر .. وأتأسف لو ضايقتك كلماتى..... قالها بصدق شاعرا بالذنب .. مما جعل محسن يتراجع عن غضبه .. ويقول فى هدوء.. :- لا عليك..

يبدو ان حساسيتى المفرطة تجاه هذا الموضوع .. تجعلنى دائما فى حالة تحفز للشجار ..

اقترب منير منه .. واخذ يربت على كتفه متفهماً ..

فمنير ليس فقط .. المسؤول القانوني عن مجموعة شركاته التى يديرها .. لكنه صديق طفولته .. وكاتم أسراره .. انه بالنسبة له .. توأمه.. الذى لا يفارقه أبداً

استدرك محسن قائلا .. :- فعلا الطقس اليوم .. ممطر..

لكن يبدو ان هناك من يستمتع بطقس كهذا .. قالها مستديرا مرة اخرى للنافذة الزجاجية .. ليشير لفتاة المطر المرحة تلك .. الا انه لم يرى فى مكانها سوى الفراغ

..يبدو انها رحلت بعد ان ابتلت تماما جراء .. مكوثها تحت المطر لفترة طويلة .. يا لها من مجنونة ..

-ماذا قلت ..؟؟..تسأل منير الذى انشغل ببعض الأوراق ..

-لا عليك .. هات ما عندك فى تلك الأوراق..

دخلت مودة الى حجرة المكتب .. حيث تعمل ..تنتفض فى سعادة وهى تخلع عنها معطفها المشرب تماما بالماء

وتنفضه فى قوة لعله يتخلص من بعض القطرات التى علقت به قبل ان يتشربها نسيجه .. ثم ابتسمت فى سخرية وهى تراه .. وقد تشرب المياه حتى الثمالة .. يا لها من متهورة .. لا تستطيع أبداً مقاومة الترحيب بزخات المطر الاولى .. انها متعتها التى لازالت تحتفظ بها منذ ايام الطفولة الاولى .. وشردت عندما تذكرت اباها الراحل .. وهو يختطفها من بين ذراعىّ امها .. ليمرحوا سويا تحت زخات المطر ... كانت طفلتهما الوحيدة لفترة طويلة ..

تخطت العشر سنوات قبل ان يرزقهما الله بأخيها ...يوسف ...

ان المكوث تحت تلك الزخات .. يعيد لها ذكريات مضت .. ولن تعود ..ذكريات تحمل عبق الماضى الجميل .. وروائح الراحلين ..

-رقصتِ تحت المطر من جديد !!!؟؟.. كان سؤالا من رفيقتها .. وشريكتها فى نفس المكتب .. فى تلك الشركة التى عملت بها .. كمتدربة .. منذ ما يقارب الشهرين..

-بالطبع .. أجابت فى مرح ... كيف يهطل المطر ولا أكون فى شرف استقباله ..

-لا يمكن ان تكون فتاة ناضجة فى الخامسة والعشرين من عمرها .. فتلك افعال صبية صغار ..

-انا اعشق افعال الصبية .. قالتها وهى تنفجر ضاحكة

-الناس تهرول مختبأة من الأمطار .. وتحتمي بها تحت مظلاتها ..... وانت تهرعين اليها..... كيف تفعلين ذلك ؟؟؟.. ... سألتها فى استنكار ..

-أفعله بكل بساطة .. ردت باسمة

-بكل بساطة؟؟؟.. استفهمت رفيقتها ..متعجبة ..

فوقفت مودة واستدارت من خلف مكتبها .. وهى وتفتح ذراعيها .. وتغمض عينيها فى خشوع .. وهى تقول :- نعم بكل بساطة .. هكذا .. وفردت ذراعيها عن آخرهما ..

وهى تهمس فى قدسية.. هكذا تستقبلين المطر مرحبة ... وفجأة ..

اصطدمت بجدار بشرى .. جعلها تشهق وتفتح عيونها مسرعة .. وتتراجع خطوات للخلف .. لتصطدم بأحد المقاعد ...لتتعثر من جديد ... فتعود بفعل قوة جذب قوية .. لتصطدم بذاك الجدار البشرى من جديد .. وكأنها شريط مطاطى . .. قبل سقوطها المرتقب...

كان هو من جذبها اليه ... هذه المرة ..

كانت الان .. تستند على صدر ما .. لا تعرف صاحبه ولا من أين ظهر فجأة .. رفعت هامتها.. فهى بطولها المتوسط .. بالكاد ناهزت صدره طولا .. لتصدم عيونها ...

بذقن مدبب حليق .. وأنف اغريقى .. وعيون حازمة صارمة .. كان وجهه عبارة عن لوحة .. تعكس كلمة واحدة .. مخيف ..

انتفضت هذه المرة مبتعدة عن مجال هذا الرجل الخطر مع حرصها .. كى لا تصطدم باى مقعد كان .. فيكفيها تجربة واحدة .. كانت فيها هناك .. حيث اللا زمان ..بين ذراعيه ..

تراجعت بضع خطوات حتى تفسح له المجال ليمر فى هدوء .. لحال سبيله .. الا انه لم يتحرك قيد انملة .. بل نظر لرفيقتها فى الغرفة التى انتصبت واقفة فى احترام بالغ .. وهى ترحب به فى قداسة :- مرحبا سيدى ..

كيف يمكننى خدمتك .. !!؟...

-مرحبا أنسة هناء .. من هذه !؟؟..وهو يشيرلخلف ظهره لمودة.. والتى تقف خلفه تقريبا .. دون حتى ان يستدير...

-انها الانسة مودة .. المتدربة الجديدة .. هنا فى مكتب السيد منير .... أعتقد انه أخبرك سيدى .. فهى هنا منذ ما يقرب من الشهرين ..

قال ساخرا :- مودة ...أهاا .. ظهر ذلك فى الترحيب المفرط عند دخولى ...

وقفت مودة تغلى ..انه يسخر من اسمها .. حسنا .. ومن يكون هذا على ايه حال !!؟... ذاك المتغطرس..

والآن .... يتحدثان عنها .. وهى تقف هكذا مثل احد الأنتيكات على المكتب .. لا ترد بكلمة .. كادت

تصيح بهما .. هاى .. أنا هنا .. تشرفت بمعرفتكما..

لكنها آثرت الصمت .. خاصة انها لا تعلم من هذا ..

المتعجرف الذى يتحدث مع هناء بكل تلك الغطرسة ..

وثانيا .. يكفيها موقف محرج واحد اليوم..

خاصة مع شخص كهذا .. وثالثا .. وهو الأهم .. انها لا

تريد ان تفقد وظيفتها .. التى حصلت عليها بشق الانفس

.. فما تحمله من مسؤليات جسام تجاه اخيها الصغير ..

لايحتمل التفريط فى وظيفة كهذه .. مهما كان الثمن ..

ثم استطرد فى حديثه الموجه لهناء .. وقد نسى امرها

تماما-:

-أخبرينى ... بالمناسبة .. هل منير موجود ..؟؟..

-بالطبع سيدى .. تفضل .. واندفعت تطرق باب مكتب

منير .. ثم تفتحه فى هدوء .. وتتنحى جانبا .. ليمر محسن فى ثقة .. فتغلق الباب خلفه ..

وتندفع لطلب القهوة .. فى عجالة .. متناسية مودة التى لا تزال مكانها .. لم تتحرك .. خاصة بعد سخريته منها

-من هذا المتغطرس ..!!؟؟؟ ..سألت مودة بتأفف

ابتسمت هناء .. وهى ترى حال مودة .. فقالت :- ألا تعلمين من هذا .. !!؟.....فليرحمك الله ..

-لماذا !!؟.. سألت فى سذاجة ..

-أتعرفين من هذا !!!.. والذى كدت تطيحين به .. وانت تستقبلين أمطارك المزعومة !!؟.. وقهقهت فجأة .. ثم أمسكت ضحكاتها .. وأخفضت صوتها ..

-من يا ترى !!؟؟.. سألت مودة فى فضول

-انه السيد محسن ضرغام ... صاحب المجموعة ايتها التعيسة ...

ارتبكت .. وفركت كفيها فى توتر .. وهى تسأل هناء فى ترقب :- أتعتقدين .. انه يمكنه.. أن ..

ردت هناء فى سرعة مقاطعة إياها .. :- بل يمكنه .. ما لا تتخيليه .. الله معكِ... أدع الله ان ينسى أمركِ.. ولا يستغنى عن خدماتك .. فهو معروف بالحزم والشدة .. وانه لا يتهاون مع أى خطأ مهما كان بسيطاً.. وهذا ما جعل مجموعته الاقتصادية تلك التى ورثها عن ابيه .. من أقوى الشركات .. فالكل يقيم له ألف حساب ..

أزدردت مودة ريقها بصعوبة .. بعد تلك الكلمات الغير مطمئنة بالمرة .. وظلت تدعو الله سراً.. ان يتناسى أمرها .. فى خضم أعماله الجسام .. ويتركها لحالها ..

فهى لا قدرة لديها .. لتفقد عملها .. وتعود من جديد لدوامة البحث عن غيره .. وما سيتبعها من مسؤوليات ..وإحباطات كذلك ...يا الله .. فلتدعه ينسى أمرى..

لكن دعاءها جاء متأخراً.. فها هو محسن ضرغام .. يسأل عنها .. رئيسها المباشر ... السيد منير ..

-من تلك الموظفة الجديدة التى لمحتها .. فى دخولى للغرفة .. !!؟؟.....سأل محسن فى فضول حاول مداراته لكن ليس على منير الذى يحفظه ككف يده .. والذى

ابتسم بدوره .. وهو يرد فى خبث محبب:- أها... محسن ضرغام .. يعود من جديد ... على يد متدربتنا الصغيرة..

-أعود إلى أين !!!؟... هتف محسن متصنعا الحنق .. مجرد سؤال برئ .. فأنا لم أرها من قبل ... ثم تغيرت نبرة صوته .. لتكسوها الجدية ... ثم انك تعلم جيداً يا منير ... ان ذاك الباب .. أغلقته بألف مفتاح .. ولا عودة من جديد ... .. خاصة بعد أن....

....وصمت قليلا .. وما كان فى حاجة ليكمل كلماته .. فقد أدرك منير ما كان يريد ان يقوله .. وتلك الإشارة الغير مباشرة لمرضه .. التي لا يحب ان يذكرها .. أو أن يذكره بها ... أى من كان .. لذا قرر منير .. تغيير دفة الحوار لوجهة أخرى حينما قال :- المتدربة الجديدة

اسمها مودة شكرى ....فتاة مجتهدة .. تقدمت لشغل الوظيفة الشاغرة .. التى أعلنا عنها منذ أكثر من شهرين والصراحة .. هى تملك كل المؤهلات .. التى تميزها .. وهى تتعلم بسرعة ملحوظة .. و

فقاطعه محسن :- لكنها .. بدت لى .. قليلة الخبرة .. وطائشة إلى حد كبير ..

-هذا جائز جداااا ... وخاصة انها شابة صغيرة .. فهى لا تتعدى الخامسة والعشرين من عمرها .. وكلنا كنّا اكثر من طائشين على ما أعتقد فى مثل هذا العمر .. قالها منير مبتسماً... وهو يتذكر ذكرياته الماجنة مع محسن فى ذاك السن .. فكلمة طائشين .. لم تكن كافية ..

لتصف تهورهما .. ورعونتهما... كان ذاك .. منذ ما يزيد عن عشر سنوات .. مروا فيها بالكثير معا ..

-حسنا .. قالها محسن.. وهو يهم بالخروج .. فى هدوء من باب الغرفة .. الذى ما أن فُتح .. حتى صمتت تلك الهمهمات التى كان يسمعها .. ليحل محلها الصمت المطبق .. ويرى هناء .. ثم تلك المتدربة .. واقفين فى ثبات تام ..

مر بهما .. ثم ألقى التحية فى تعال.. وتوجه للخروج من باب الحجرة .. فتنفست مودة الصعداء .. أخيرا ..

لكنها .. كتمت انفاسها من جديد ...عندما عاد أدراجه .. مولياً وجهه لها خصيصاً.. وهو يقول بنبرة حازمة .. وصوت عميق رخيم :- أنتبهى لعملك جيداً.. ولا تنسى

انك لازلت تحت التمرين .. وأشار بيده .. دلالة على سهولة الاستغناء عنها فى أية لحظة ..

لم يسعها أمام هذا الوجه الصارم وتلك العينين القاتمتين بلون الفحم .. الا أن .. تومئ برأسها إيجاباً.. وهى تكتم انفاسها ...وقلبها يدق كالطبول فى صدرها ..

انصرف فى هدوء ... وأخيرا استطاعت ألتقاط أنفاسها فى تسارع ... تجلب لنفسها بعض الأكسجين من خلال تحريك بعض الأوراق أمام وجهها الذى أصبح فى لون حبات الفراولة الناضجة ...

استعادت توازنها أخيرا .. و هناء تهتف فى سعادة :- يا لكِ من محظوظة ... فلقد تغاضى عن فعلتك ...

لكن هى لم ترد .. على الرغم من شعورها بالفرحة لانه تركها تكمل تدريبها .. فى مجموعته .. الا أن .. هاتفاً داخلياً .. يلح عليها الان .. بان هذا .. ليس نهاية المطاف .. مع ذاك المتغطرس...

دخلت مسرعة ....لشقتها المتواضعة فى ذاك الحى الشعبى العريق .. حيث ترعرع أبويها .. وأحب كل منهما الاخر .. ليتزوجا فى نهاية المطاف فى تلك الشقة العتيقة .. التى لم يبقى لها .. هى وأخيها .. من حطام الدنيا ... غيرها .. وبعض ذكريات .. هنا وهناك .. تطل من بعض الصور الفوتوغرافية التى تحتل جدران الشقة .. التى كستها الرطوبة بفعل عوامل الزمن ..

دخلت .. تنادى على أخيها مدللة أياه .. بلفظة الدلال التى يمقتها .. امعانا فى أغاظته:- يوبو... أين أنت !!؟؟... لا تخبرنى بأنك لازلت نائما ...!!؟ ..

-ظهر صبي فى الثانية عشرة من عمره ....يجلس على كرسى مدولب.. يشبهها الى حد كبير .. نفس الوجه القمحى الطفولى .. والعيون التى بلون العسل .. بخلاف واحد هو لون الشعر .. فهو يملك شعرا كستنائياً.. يشبه شعر أمها الراحلة كثيرا .. أما هى .. فقد ورثت شعر ابيها .. الحالك السواد ...

ظهر يوسف عابساً.. خاصة بعد نعتة ب يويو .. والذى يكرهه كثيرا ..

-لما الجميل عابسٌ..؟؟!!... سألت بمرح

-لقد تأخرتِ كثيراً اليوم ... وأنا وحيد النهار بطوله .. قالها بحنق تام .. وهو يضرب على أحدى ذراعىّ كرسيه المدولب ...

كانت تعلم انها تتركه معظم النهار وحيداً .. الا من بعض المرات التى يجود فيها أحد أبناء الجيران متطوعاً.. للبقاء معه... لتسليته والترفيه عنه .. الا انهم اطفال ايضا .. ويملون بسرعة .. لذا فسرعان ما يتركونه وحيدا .. متحججين ... ليذهبوا للعب الكرة ..

ليبقى هو بعدها ... وحيدا متحسرا ...

يوسف .. هو كل ما بقى لها .. بعد تلك الحادثة التى أودت بحياة أبويهما... وكانت السبب فى ما يعانيه أخيها الأن ... فبعد تلك الحادثة المشؤومة .. فقد يوسف قدرته

على المشى بشكل طبيعى .... والكثير من الأطباء أكدوا

إمكانية استعادته لتلك القدرة من جديد .. اذا خضع .. لعملية جراحية ضخمة .. تتكلف الكثير مع .. علاج طبيعى مكمل .. لكن من أين لها .. بمصاريف العملية الجراحية وما يتبعها .. فهى لا تملك الا معاش ابيها الذى يكفيهما بالكاد .. وخاصة مع ما تبتاعه من أدوية وعقاقير قد تساعد فى تحسين حالة أخيها .. وتلك الشقة العتيقة .. واخيرا عملها .. والذى حتى الأن .. ليس مضموناً..

فهى لازالت متدربة .. يمكنهم الاستغناء عنها فى أية لحظة .. وما عاشته اليوم .. كان كفيلاً جداً.. ليؤكد لها تلك الحقيقة المؤلمة ...

ربتت على كتف أخيها .. والحزن يعتصر قلبها .. حزنا على حاله .. ثم تنحنى .. لتجلس على ركبتيها امام كرسيه وترفع ذقنه بكفها .. لتنظر لعمق عينيه الدامعتين

-أعرف أنى أتركك لفترة طويلة .. من النهار .. لكن انه عملى الجديد .. والذى سيحسن من حالنا .. وعن طريقه يمكننى الادخار من أجل عمليتك الجراحية .. كى تعود .. لتجرى وتمرح مع أصدقاءك من جديد .. فهل تسامحنى ... أومأ برأسه إيجاباً .. فقالت متصنعة المرح وهى تندفع لبعض الأغراض التى أحضرتها من أجله

-انظر ماذا جلبت لك !!؟؟.. وأخرجت قميصاً وبنطالاً من أحد الاكياس .. لتضعهما عليه .. وهى تقول :- ما أروعهما .. أنهما مناسبان لك تماما .. يا يويو ..

-كفى عن مناداتى ب يويو هذه ... اسمى يوسف ..

-حاااضر يا .. يويو ... قالتها ضاحكة راغبة فى إغاظته ..الا انه ابتسم .. عندما ادرك .. مقصدها ..

وقال مستدركاً :- .. جميل جدا ما أحضرتيه .. انهما باللون الذى أحب .. لكن عليك بالادخار .. كما وعدتينى أليس كذلك !!؟؟.. الا أتحمل بعدك عنى .. وبقائى وحيداً.. حتى تجمعى المال المطلوب للجراحة ..

وضعت هديتها جانبا .. و طوقت رأسه بين ذراعيها .. تشعر بالالم يعتصرها عصرا .. على حال اخيها .. ورغبته...

وأمله فى تحقيق معجزة ... لتحصل على المال المطلوب ..

ليسير على قدميه من جديد ..

ولكن رغم ذلك كله .. قالت فى ثقة :- لا تخف ..

سأحصل على المال .. وستعود للسير والركض مع

أصدقاءك من جديد .. أقسم لك .. بان ذلك سيحدث..

ولن أدعك فى تلك الحالة طويلا..

وقف ينظر من النافذة كعادته الايام الماضية .. لعله يلمح تلك الفتاة التى تعشق المطر ... لا يعرف لما رؤيتها تشعره بالسعادة .. وانه لازال هناك من يستمتعون ببعض النعم البسيطة التى يغدقها علينا المولى سبحانه وتعالى .. ولا نعيها .. ولا ندرك

حاجتنا للاستمتاع بها .. الا عند علمنا .. بأننا سنحرم منها عما قريب ..

يشعر الان ان نظرته للامور ... كل الامور .. قد اختلفت تماماً ... حد التناقض .. عندما علم بمرضه

بدأ ينظر الى الامور التى كان يتجاهلها .. ويجد لها بريقاً أخر مختلف تماماً... وبدأ يدرك ان ما اضاع فيه

ايام شبابه .. وسنواته الاولى ... كان قبض ريح .. لا يثمن ولا يغنى من جوع .. لم يضف اليه .. سوى حسرات .. وندم ...

تطلع من جديد .. الى الطريق .. لعله يلمحها.. بعد ان مرت الايام الثلاثة الماضية .. دون ان يجد لها أثراً .. وكأنها لا تظهر الا مع ظهور أولى قطرات المطر معلنة عن نفسها ..حورية المطر .. انها مثل حورية الأمطار .. تظهر وتختفى .. وفقاً لها...

وها هو .. منذ لمح قطرات المطر الاولى تدق بفرحة على زجاج نافذته ...حتى قفز فى شوق إلى النافذة متطلعاً للطريق فى لهفة .. وعيونه تتعلق بموضع

تواجدها فى المرة السابقة .. لكن هل ستأتى ؟؟؟..

ربما كانت تمر بالصدفة من هذا الطريق فى المرة السابقة والوحيدة .. التى رأها فيها .. أزدادت قطرات المطر دقاً على نافذته .. تحجب الرؤية بعض الشئ..

وكاد ان يفقد الأمل .. فى ان يراها مجدداً ...

حتى ظهر معطفها الوردي .. من بعيد .. فألتصق بالنافذة ليجدها تقف فى نفس مكانها السابق .. فى الرصيف المقابل لمدخل شركته .. يبدو انها تنتظر الإشارة لتسمح لها بالمرور للرصيف الاخر .. وها هى تقف تلاعب قطرات المطر .. كعادتها ..

ولمعت فى عقله فكرة مجنونة .. لما لا يذهب ليراها..

نعم يراها عن قرب .. فقط يراها .. تلك العاشقة للأمطار .. التى بهرته .. بذاك العشق .. لم ينتظر ليقرر بل وضع أفكاره تلك حيز التنفيذ .. فاندفع من مكتبه .. فى سرعة .. جعلت سكرتيرته الحسناء تجفل .. وتقفز فى فزع .. لكنه لم يعبأ بها .. واستمر فى ركضه ..طالما هو وحيد... فى الممر المؤدى للمصعد .. فاذا ما ظهر بعض الموظفين .. يتأنى فى مشيته .. ويلقى التحية فى وقار .. وأخيراً .. وصل المصعد .. وضغط

زر الطابق الأرضى .. ثوانى مرت .. حتى وصلوه ..

لكنها ثقيلة .. تعدت الدقائق .. فى توقيته المتلهف ...

خرج .. بوقار .. حتى وصل لخارج الشركة .. مندفع من بابها .. ليصدم بأحدهم .. وعيونه على الرصيف المقابل حيث كانت تقف .. وللأسف .. فقد فقدها ..

لم تكن هناك .. لقد رحلت .. زفر فى ضيق .. وتنبه للكائن الذى يأسره الأن .. ممسكاً بذراعيه .. عندما اصطدم به .. اخفض رأسه فى حسرة يتطلع لتلك الرأس المنكسة فى اضطراب.. وهو .. ينطق بعبارات الأسف .. والاعتذار ..لترتفع تلك الهامة فى بطء ....لتقابل نظراته ....فتوقفت الكلمات فى حلقه .. معطف وردى... انها هى ذات المعطف الوردي ... لكن أين رأها من قبل يا ترى ... ..؟؟!!

لقد اصطدم بتلك النظرات من قبل .. !؟..لكن أين يا ترى ..!؟.. ذم شفتيه .. وانعقد ما بين حاجبيه .. وهو يحاول التذكر .. وقد اعتراه بعض الصداع .. جراء توتره .. واندفاعه .. مما شوش قليلا على تفكيره..

وذاكرته .. حتى هتفت هى فى ندم :- أسفة .. أسفة سيدى.. أعذرنى بحق .. فلم أقصد أن ...

ابعدها عنه قليلا .. وتذكر .. انها المتدربة الجديدة .. نظر اليها .. من قمة رأسها .. حتى أخمص قدميها ..

هل حقاً .. متدربته الجديدة .. هى حورية المطر تلك .!؟ ..نعم .. انها هى ..

-أنتِ... المتدربة الجديدة .. على ما اتذكر..!! ..

-نعم .. أنا هى يا سيدى .. قالتها بصوت يحمل نبرة منكسرة .. وهى تومئ برأسها إيجاباً ..

-هل من عاداتك الاندفاع .. لتسحقى الناس فى طريقك دوما .. !؟؟.. على الرغم من علمه انه خطاه هو .. وان الاندفاع جاء منه .. لا منها .. لكن لا يعلم لما شعر برغبة ساحقة .. فى تقريعها ..

-أنا .. أنا .. ترددت لا تعرف كيف تجيب .. فله الحق فيما يدعى... فهى المرة الثانية .. التى تصطدم به..

ولعلها الاخيرة ..... هكذا خطر لها ... فلابد انه يفكر فى التخلص منها الان ... فهو ذاك الحازم الذى لا يقبل بمتهورين قليلى الخبرة تحت سقف مؤسسته ... يا الله ساعدنى .. هكذا هتفت .. وهى تغمض عينيها تضرعاً..

ولكنها تفاجأت .. عندما أخذ يهزها بقلق .. متسائلا:- هل أنتِ بخير .. ؟؟؟..أجيبى... هل حدث لكِ .... أى مكروه ..؟؟؟ ...

أضاءت فى عقلها فكرة مجنونة ... لعلها منقذها الوحيد فأنهارت فجأة .. تتظاهر بفقدان الوعى .. لكنه ألتقطها سريعاً.. بين ذراعيه .. وهو يهتف .. فى أفراد الأمن.. عند البوابة .. والذين هرعوا .. فى ثوان .. لنجدتها .. لكنه .. حملها دونهم .. صارخاً فيهم .. بطلب طبيب الشركة .. والذى لسوء حظه ... وحسن حظها لم يحضر بعد .. مما ساعدها ولو قليلا .. لتتقن دورها..

فَلَو حضر الطبيب .. فسيكتشف بسهولة .. إغماءها المدبر ... يا لها من محظوظة ... هتفت لنفسها .. وهو يضعها .. على أحد الأرائك .. أخيراً الحظ فى صالحها انه يصالحها .. بعد مرات عديدة .. من مخاصمته لها..

انتفضت عندما قرب من انفها بعض من العطر ..بشكل فجائي .. فقررت الإفاقة.. فتحت عينيها فى بطء .. لتفاجئ بعيون فحمية .. تتطلع اليها من علياءها..

فأنتفضت فى سرعة .. لتقف .. لكنه امسك بكتفيها ليعيدها .. لمكانها من جديد .. وهو يقول بلهجة تحمل بعض من اهتمام .. استغربته...:- ابقى حيث انتِ.. حتى تصبحى قادرة بشكل تام على النهوض ..

-أشكرك .. وأسفة مرة أخرى ... فلم..

قاطعها قائلاً فى شرود :- لا عَلَيْكِ .. يا حورية المطر

-عفواً... قالت متسائلة عندما لم تدرك ما قال ..

-لا شئ .. قالها فى سرعة .. هل انت بخير الان !!؟؟ ..

-نعم .. نعم .. ووقفت فى عجالة ..

-حسنا .. فلنعود لعملنا ..

انتظرت حتى يذهب هو ويتركها .. تذهب لحالها .. لكنه أشار لها .. حتى تتبعه ..ليقفا معاً فى انتظار المصعد..

وصل المصعد الخاص به اولا .. فقال فى حزم .. وقد عاد لطبيعته.. يمكنكِ ان تستقلى معى مصعدى ..

كادت ان ترفض .. فى إشارة شكر مهذبة .. فهى لن ترتاح .. حتى تكون ابعد ما يكون عن تلك العيون الصارمة ... لكنه لم يمهلها وقتا .. ليفسح لها الطريق

أمرا أياها بالدخول .. فتنفذ أمره منصاعة .. ليقفا متقاربان .. فى ذاك الصندوق المربع .. تشعر هى بالاختناق .. .. لا يفصله عنها الا بضعه أشبار .. أما هو .. بلا مبالاة .. ضغط على زر الرقم الخاص بالدور الذى تعمل فيه .. وأخذ ينظر لها .. بجانب عينه .. نظرات متقطعة .. وهو يمسك بمنديله .. يمسح به بعض من مياه .. ألتصقت به .. عند اصطدامه بها .. وهى ترتدى ذاك المعطف المبلل ..

-أسفة مرة ثالثة .. على تلك الفوضى ..

هز رأسه متفهماً..دون ان ينبس بحرف واحد ..و

قد استعاد غطرسته المعتادة ..

وصل المصعد .. فخرجت وهى تلقى التحية..

وينغلق باب المصعد ليكمل رحلته..

.... قبل ان يعيرها اهتماماً..

...أو حتى ...يرد تحيتها ...

- يويو .. حبيبى أين انت !!؟.. أظهر وبان عليك الامان ... ظهر اخوها.. وهو يستدير بكرسيه المدولب .. ليدخل من الشرفة التى يقضى فيها معظم وقته .. يشاهد اولاد حيهم .. وهم يلعبون الكرة .. ليمر الوقت به .. سريعاً .. ولا يشعر بالوحدة كعادته .. منذ انتظامها فى عملها الجديد .. لكن اليوم .. الطقس بارد .. وممطر .. ما كان له البقاء فى الشرفة كل هذا الوقت ..

اندفعت اليه .. تتأكد انه بخير ..

-ما كان لك البقاء فى الشرفة فى مثل ذاك الطقس الممطر .. حبيبى قد تمرض ..!!؟ ...

-وهل هناك مرض .. أكثر مما أنا فيه ..!!؟ ..

قالها بحسرة وهو يشير لكرسيه المدولب ..

صمتت لا تعرف بما تجيبه ... لكنه استدرك قائلا-:

-مودة ... هل لى بطلب منكِ ..... لكن عدينى الا ترفضى ..!؟.. رجاءاً

-طبعا حبيبى .. كل ما تطلبه .. سيكون فى متناول يديك

اذا استطعت .. وانت تعلم ذلك ..

-حسناً.. أريد الخروج ولو قليلاً.. أرجوكِ ..

صمتت ولم تجيب ... فأستدرك .. والدموع تلمع فى حدقتيه .. اشعر بالاختناق أختى .. أريد الخروج من ذاك السجن ..

-لكن ... الجو ممطر .. وأخاف حقا .. أن تمرض ..

-رجاءاً.. لا ترفضى .. من أجل خاطرى ..

-حسناً .. أجابت دامعة .. ثم اندفعت متصنعة المرح ..هاتفة :-ولما لا ... ستلبس الملابس الجديدة .. وايضاً .. صمتت لترى الإثارة فى عينيه .. سنتناول البيتزا .. قالتها صارخة بصوت عال .. ليهتف هو بفرحة لم تراها مرسومة على محياه منذ زمن طويل ..

كان عملاً شاقاً.. ان تساعده على أرتداء ملابسه .. ثم تقوم بإنزال كرسيه المدولب ... وتعود صاعدة .. لتعود

به شبه محمول .. لتأخذه .. حيث الشارع الرئيسى ..

ليتنزها قليلا .. ثم يتناولا معشوقته البيتزا..وما ان

خرجت من حيهم .. حتى بدأت رحلة المرح ..

اندفعت تصعد احد الارصفة .. التى تخلو تقريبا من المارة

.. لتدفع كرسى اخيها أمامها فى صخب طفولى

تود تعويضه عن ساعات الوحدة الطويلة التى يقضيها

دونها .. تتعالى ضحكاتهما ..

خرج من شركته ..يفكر فى تلك التى سقطت بين ذراعيه منذ ساعات .. حورية المطر .. كما يحب ان يطلق عليها بينه وبين نفسه ... استقل سيارته .. لم يكن بمزاج جيد .. كى يعود للمنزل من توه فأشار على سائقه .. بالتنزه قليلا ... وربما يتناول عشاءه مبكراً

كان الطريق لحد كبير خال فى تلك الفترة من اليوم مما سمح للسيارة بالسير فى سلاسة .. قاطعة الطريق كان يجلس .. ورأسه يعج بالكثير من الافكار التى يحاول ان يتناساها .. او يتخلص منها .. ليته يستطيع جمعها وقذفها من النافذة .. ليتخلص منها للأبد .. كان

ينظر للجانب الاخر .. لعله يصادف مطعماً جديداً يجربه .. ويكسر ذاك الملل المسيطر على روحه..

توقفت العربة فى تلك اللحظة .. عند احد الإشارات وفجأة جذب انتباهه .. فتاة بمعطف وردى .. هل هى حقاً!!؟؟... لقد بدأ المعطف الوردي .. يسيطر على أفكاره بشكل خطر .. هكذا حدث نفسه .. الا تملك فتاة غيرها .. مثل ذاك المعطف .. !!؟؟ ..

لكنه لم يكن يهزى .. أو يتخيل .. لقد كانت هى بالفعل

.. ودقق النظر .. ليجدها تدفع أمامها .. شخص ما على كرسى مدولب ..

انطلقت العربة ..فى تلك اللحظة .. فهتف محسن فى السائق .. ان ينحرف عند اول تقاطع للطريق .. وينتظر .. وجلس فى هدوء ينتظرها .. حتى تصبح فى مجال رؤيته .. وأخيراً ظهرت بنفس حيويتها... كانت تدفع الكرسى بسرعة كبيرة .. مستغلة خلو الرصيف من المارة ..

وكلاهما يتضاحكان فى سعادة كبيرة..

.. و انحرفت بالكرسى لتدخل

احد المطاعم المخصصة لتناول البيتزا ..

-حسنا .. انتظرنى هنا .. هتف محسن لسائقه .. وهو يترجل من العربة .. وقد قرر .. أين سيتناول طعامه...

دخل المطعم .. ليجده مكتظاً عن اخره... كان يدور بعينيه يبحث عنها .. عدة مرات .. حتى استطاع..

ان يجدها تقبع هى ومن يصاحبها .. فى احد الأركان البعيدة .. توجه بهدوء .. الى حيث تجلس .. وقد جذب أنظار رواد المطعم .. ببزته الغالية الثمن .. ومظهره الرسمى الغير مناسب إطلاقا .. لمطعم كهذا ..

-مساء الخير .... قالها من خلفها جعلها تنتفض عند مرآه ..

-سيدى .. أنت .. أقصد .. مساء الخير .. ردت بعد كل ذاك التوتر الذى شملها .. لظهوره المفاجئ .. فى مكان كهذا .. لا تتوقع ابدا رؤيته فيه ..

-هل يمكننى الجلوس بجواركم .. فالمطعم بالفعل مزدحم

جدا.. قالها وهو ينظر لمرافقها .. والذى لا يعدو كونه طفلا فى الحادية او الثانية عشرة .. على أقصى تقدير ويحمل شبه كبير منها ..

-هذا ليس شأننا .. نحن نحب الجلوس بمفردنا .. هكذا هتف يوسف .. فى ضيق من مشاركته غريب الطاولة والجلوس بجوار أخته .. والتى يعتبر نفسه رجلها الأوحد ...

-يوسف.. هذا السيد محسن ضرغام .. صاحب الشركة التى أعمل بها .. قالتها .. محذرة أخوها .. ليلتزم حدود التأدب فى حديثه مع الرجل .. يكفى ما فعلته هى .. فى الشركة اليوم...

وأغماها المزعوم لتتهرب من عقابه .. لاصطدامها

الثانى به ...

-مرحبا .. انا محسن ضرغام .. ومد يده ليوسف فى تودد جعل الاخير .. يمد يده .. باحترام .. ليقول :- شرفت بمعرفة حضرتك .. وأنا يوسف... أخو مودة الأصغر

..اذا فهو أخوها ... قالها محدثاً نفسه ..

-هل طلبتم ما سوف تتناولونه.. سأل فى تودد.. وهى تتصبب عرقا .. لمجرد جلوسه هنا .. بالقرب منهما.. انها بالكاد تلتقط انفاسها .. انه بكليته غريب عن المكان بما فيه ...

-انه مطعم بيتزا .. ولا يقدم غيرها .. أجاب يوسف ساخراً.. ولقد اخترنا بالفعل .. وطلبنا فى الطريق..

تنحنحت مودة .. من جراء رد أخيها الساخر .. لكنه لم يعير ذلك اهتماماً.. فتنفست الصعداء .. وهو يطلب بيتزا بأنواع مختلفة من الجبن..

جاء طلبهما .. فقررت ان تنتظر حتى يأتى طلبه ليبدأوا الطعام معاً.. لكن يوسف لم ينتظر .. وبدأ فى تناول طعامه بشهية ..كان ينظر اليه وابتسامة على شفتيه .... اما هى .. فتحججت بانتظاره .. وهى فى الحقيقة لا تستطيع ان تبتلع أى قضمة .. حتى لا تقف فى حلقها من جراء نظراته المحببة تلك .. والتى يرمق بها يوسف.. انها لم تتوقع ان ترى منه مثل تلك النظرات التى تفيض عطف وتفهم ..

وصل طلبه .. وبدأت هى فى تناول طعامها .. وتنبهت انه يحرك القطعة فى طبقه .. لكن لا يتناولها ..

-الا تحب البيتزا...؟؟؟..سألت بعفوية .. بدون تفكير..

-الحقيقة .. لا أفضل المعجنات كثيراً... أجابها بعفوية مشابهة .. مما جعلها تسأل فى تسرع ندمت عليه :-

-اذن لما أتيت مطعم كهذا .. لا يقدم الا المعجنات..؟؟؟..

عضت على شفتها السفلى ندماً.. لما لا تمسك لسانها قليلا فى حضرته .. لكن اخيراً أنقذها اخيها الذى هتف فى صدمة .. :- لا تحب البيتزا... انها رائعة .. لابد وان تتذوقها.. تناول هذه من أجلى ..

ووضع يوسف قطعة من البيتزا فى طبقه .. وأكد عليه .. ان يتناولها .. ولعجبها .. بدأ فى تناولها .. دون اى اعتراض .. بل انه أبدى أعجابه بها .. وبدأ فى تناول البيتزا فى شهية جعلتها .. تفغر فاها .. استغراباً

مما جعله ينظر اليها ..

-لما لا تأكلين ....؟؟!!... البيتزا بالفعل لذيذة..

انتبهت لنفسها .. وبدأت تأكل فى آلية .. وهى تبتلع لقيماتها بصعوبة ..

كانت اصعب وجبة تناولتها على الإطلاق .. لكن أخيرا انتهت على خير ..

أشار للنادل الذى أتى مسرعاً.... أصرت على دفع ثمن طعامها .. هى وأخيها .. لكن نظرة واحدة من عينيه القاتمة ..جعلتها تبتلع أعتراضها .. وتشكره فى هدوء استأذن .. ولكن لدهشتها .. وجدته بانتظارهما فى الخارج ..

-هيا .. سأوصلكما للمنزل .. قالها فى إصرار لا يقبل المساومة .. لكنها أعترضت هاتفة :- لا داعى .. فالبيت قريب جدا.. ونحن نفضل العودة سيراً .. كما أتينا..

-الجو بارد .. ولا أعتقد ان ذلك فى مصلحة يوسف ..

كان بحق البرد ينخر العظام .. وها هى ترى اخيها يتثاءب فى وهن .. فأذعنت .. فتح السائق الباب الامامى

وعاد ليحمل يوسف.. لكن محسن لم يمهله .. فلقد عاد حاملا يوسف بنفسه... ووضعه فى المقعد الامامى بجوار السائق .. بينما فتح الباب الخلفى لها .. لتقف مشدوهة... فيشير اليها .. :- ألن تصعدى ..؟؟..

-بلى .. سأفعل .. ودفعت نفسها دفعا داخل العربة .. وهى مشدوهة .. مما يحدث معها ..

لا تعرف كيف أعطت الإشارات للسائق حتى وصلت منزلها .. أسندت كفها .. لتدفع نفسها خارج العربة الفارهة التى سدت مدخل شارعهم الضيق .. وكان هو يفعل بالمثل .. فوضع كفه بلا قصد على كفها .. لينتفض كلاهما .. ويجذب كفه كالمصعوق ..

ألتقت نظراتهما لثوان .. وقطعتها هى .. وهى تنزل من العربة .. فى سرعة عجيبة ..

حمل يوسف .. رغم اعتراضها المستميت .. لكنه لم يأبه له كالعادة .. وتوجه لمدخل البيت .. يصعد درجاته ..

وكأنما يدفعها دفعاً للإذعان .. فتوجهت مسرعة .. تسبقه .. لتفتح باب شقتها المتواضعة على مصرعيه

لاستقبال .. محسن ضرغام .. بجلال قدره .. يحمل أخيها بين ذراعيه .. وكأنما أصبح حمل تلك العائلة قدره

صباحاً يحملها هى ... بعد إدعائها فقدان الوعى..

هرباً منه .. ومساءا يحمل أخاها .. رغماً عنها .. حتى باب شقتها ..

أخرجها من شرودها .. وهو يهم بالانصراف ..

-سعدت بتناول البيتزا معكما... أبلغى يوسف سلامى..

قالها بعد أن عاد من حجرة أخيها .. والذى أصر على وضعه فى فراشه .. غارقاً فى النوم ..

هزت رأسها إيجاباً.. لا تستطيع التفوه .. بكلمة واحدة مما دفعه لالقاء التحية .. والانصراف من فوره..

أما هى .. فقد أغلقت خلفه باب شقتها .. الا ان هناك فى عقلها .. فُتح ألف باب .. ليطل منهما الف تساؤل.. وتساؤل ..

ولم يكن لديها ... أى اجابة .. شبه منطقية .. تجيب على أى منها ..

عاد لسيارته .. تتقاذفه الافكار .. والخواطر .. وسأل نفسه فى صراحة .. أصبحت هى عادته مع نفسه فى الأوقات الاخيرة .. ما بك ؟؟؟!.. ولما الاهتمام بأمرأة ليست من ذاك الطراز الذى كنت تفضل ؟؟؟! ..

ما الذى يجذبك اليها ..؟؟؟! ..

انت لا تملك وقتا للحب .. ؟؟؟!.. انت تعلم هذا جيدا..

اذن لما التقرب منها .. ما الذى تسعى اليه ؟؟؟! ..

ما الذى يمكن ان تقدمه لك .. امرأة مثلها .. حياتها ليست بتلك السهولة .. التى توقعتها .. ولديها الكثير من الالتزامات والمسؤوليات .. تجاه أخيها .. ومستقبلهما... ؟؟؟! ..

حورية المطر تلك .. ليست تلك الرقيقة .. الحالمة

التى تتوقعها .. انها عنيدة .. قوية .. وشرسة اذا اقتضى

الامر.... فهل تع مع من تتعامل ..!!؟؟ ..

انها صنف مختلف من الفتيات ..

أحذر .. الاقتراب .. يعنى .....الاحتراق ..

هكذا هتف عقله .. فى تحذير أخير .. لكن عندما

يظهر القلب فى الصورة .. يتوارى العقل .. تاركاً الساحة

دخل لمكتبه .. يتأوه ألما .. طلب بعض الأعشاب التى تهدأ آلامه .. فوجبة البارحة من البيتزا .. قلبت أمعاءه رأسا على عقب .. دوما ما كان يكره تناول المعجنات .. فتأثيرها عليه ..سئ

ماذا فعل بنفسه .. إرضاءاً لأخيها .. تباً للمعجنات .. قالها شاتماً فى غيظ .. وهو يتناول كوب الأعشاب

وقف امام نافذته العزيزة .. يحتضن كوبه بكلتا يديه..

هى تأتى من هذا الطريق .. ففى المرتين السابقتين ..

كانت قادمة من هناك .. وتقف لحظات .. حتى تعبر للرصيف المقابل .. وتدخل الى بوابة الشركة .. حيث اصطدما البارحة .. تذكرها وهى بين ذراعيه ..

لكن سريعاً ما نفض هذا الخاطر من رأسه .. وسأل نفسه بصدق .. هل حقا يهتم لأمرها .. هل .. ينتوى التورط معها .. انها ليست كالفتيات التى عرفهن فى الماضى.. ايام شبابه الاولى .. وليست بالتأكيد شبيهة بتلك التى ربط بها احلامه .. وحياته ..

وكان يعتقد انه ستشاركه إياها للأبد ... ولكن....

كم كان واهما .. و لكن ...هو ايضا ليس الرجل نفسه .. قالها هامسا .. فلقد رحل هذا الرجل بغير رجعه ..ذاك الرجل الذى كان يضع امور القلب والعاطفة .. فى أولوياته

دوما .. رجل يؤمن بالحب .. ليحل محله .. محسن جديد .. يعرف قيمة الحياة .. وقيمة كل دقيقة فيها ... ولن يضيع أشهره المتبقية .. فى امور لن تجدى ...ان كان يريدها حقاً... فليحصل عليها الان..

او فليدعها ..

لا مجال لإضاعة الوقت ..

لكن كيف .. كيف يصل اليها .. كيف... وكيف .. عشرات الأسئلة حاصرته .. وهو ينتظر امام النافذة..

ولم يظهر لها أى آثر ... هل أتت من طريق أخر .. أو ربما جاءت .. ولم يلتفت لمقدمها .. فى اثناء انغماسه فى أفكاره ..

لقد تخطت العاشرة صباحا .. ولم تظهر ..

تحجج لنفسه ...ليذهب لمكتب منير .. لعله يراها ..

فيطمئن قلبه ..

دلف للمكتب فى وقاره المعتاد .. فانتفضت هناء مرحبة

ورنت منه نظرة جانبية .. وهو يلقى التحية ..على مكتبها

الشاغر ... ويدلف لمكتب صديقه .. لابد انها لم تأتى

اليوم .. ما الذى حدث يا ترى ..!؟؟ ..

تبادل الكثير من الأحاديث مع منير .. حول صفقة

جديدة يجهزون لها .. لكن نصف الوقت .. فكره يجذبه

بعيدا .. فيشرد حيث صاحبة المعطف الوردي .. أين هى

الان يا ترى .. وما قد يكون حدث لها ..

ووجد نفسه دون تفكير يسأل منير.. :- ترى أين المتدربة الجديدة اليوم ..!؟؟ ..

رفع منير رأسه من بين اوراقه .. وقد دهش تماما لسؤال محسن.. عن فتاة لم يرها الا مرة واحدة .. على حد علمه طبعا ...

-وما حاجتك اليها ..!؟؟..سأل منير متخابثاً ..

-لا شئ .. لم أراها على مكتبها عند دخولى .. يبدو انك تتهاون معها كثيرا...

ابتسم منير ..ولم يجب .. رغبة فى استثارة صديقه ..

لكن محسن ظل صامتاً على الرغم من تلك الأسئلة التى تطل من عينيه تفضحه .. واخيرا أشفق عليه منير مجيباً

-انها اتصلت فى الصباح الباكر تستأذن فى عدم القدوم لمرض اخيها الأصغر .. بالطبع أذنت لها .. فالولد مقعد وليس له .. الا أخته لتعتنى به ..

هز محسن رأسه مؤكداً.. دون وعى.. فالمفترض انه لا يعلم عنها اى شئ .. لكن منير .. كان رائعاً عندما .. تجاهل ملاحظته ذلك ..و كم شعر بالامتنان جراء عدم محاصرته بالأسئلة ...

..نهض مسرعاً.. وهو يتحجج ببعض الشؤون التى يجب إنهاءها .. خارج الشركة ..

مرت عليها الليلة السابقة ... كالكابوس .. فلقد أرتفعت حرارة أخيها .. ولم يكن فى إمكانها .. الذهاب به لطبيب

.. وهو فى مثل حالته ... او احضار طبيب له .. فى ساعات الصباح الاولى .. فقضت ليلتها .. تحاول بكل طريقة تعرفها .. ان تخفض من حرارته الملتهبة ....

واخيرا .. انخفضت قليلا .. مما سمح لها بالنوم قليلا .. نوم متوترا .. ملئ بالكوابيس المريعة .. فتنتفض فى كل مرة .. تتلمس كفها الطريق لجبهة أخيها ..لتطمئن ان حرارته طبيعية .. فتعاود الخلود للنوم من جديد .. لتعاودها تلك الأحلام المزعجة.. التى طل منها .. وجه لم تره .. الا منذ عدة ايام ... لا تعلم .. لما احتل أحلامها عنوة .. لابد انها بدأت تهذى .. هل التقطت العدوى من أخيها .. ؟؟!! ..

كانت حالتها يرثى لها .. وجه مجهد .. وعيون ذابلة لم يعرف النوم لجفونها سبيلاً... وجسد يفتقد الحيوية التى يتميز بها .. فبدا كتفاها متهدلين .. ككتفى عجوز .. عندما دق جرس الباب ..

سحبت نفسها .. من جوار أخيها .. وهى تعدل حجابها على رأسها.. وتجر قدميها جراً.. تجاه باب شقتها ... كم الساعة الان يا ترى !!!؟..كان عقلها لايزال مشوشاً .. عندما فتحت الباب .. برأس مثقلة ترفعها فوق عنقها بالكاد .. لتطالعها بزة رمادية اللون

... رفعت عينيها .. لتصطدم بتلك العيون الفحمية الصارمة .. انه هو !!!.. هل هو حقا !!!.. ام انها لاتزال تهذى .. وتعيش فى أحلامها الليلية .. حيث كان قابع

هناك .. بغير سبب مقنع!!!! .. كان هو من قطع الصمت .. .. وهو يتفحصها.. بذاك المظهر الطفولى .. المتمثل فى منامتها ذات الرسومات الهزلية .. وحجابها الموضوع على رأسها بعشوائية .. وعيونها الناعسة ..التى اتسعت عن اخرها .. ...وهى تطالعه أمامها ... قال فى هدوء:-صباح الخير آنسة مودة .. أحضرت طبيب الشركة .... من أجل يوسف..... فهل تسمحين..؟؟؟...قالها وهو ينحيها جانبا .. قبل ان يسمع حتى جوابها .. ويمرر الطبيب .. لحجرة أخيها .. التى كان يحفظ طريقها جيداً.. منذ ليلة الامس .. حين وضعه فى فراشه ..

لازالت تقف مشدوهة .. تفرك عينيها .. وقد استيقظت تماماً.. عند رؤيته.. وكأنها تناولت جرعات مضاعفة من

الكافين .. وما ان همت باللحاق بهما .. حتى كان الطبيب قد انهى عمله .. مغادراً الغرفة ..

ليسألها فى تعجب وهو يكتب بعض العقاقير والادوية :-

لا تقلقى .. فتلك نزلة برد عادية .. وسيشفى منها بسرعة .. لكن ما جذب انتباهى .. هو موضوع قدميه .. لديه فرصة كبيرة للشفاء .. لو اجريت له جراحة ..

فلما لم تتم للأن ..؟!... التأخر ليس فى مصلحته .. قال كلماته تلك فى آلية .. غير عابئ.. بملامحها التى اعتلاها الحزن .. وشعورها الطاغى بالعجز وقلة الحيلة

لكن محسن.. وصلت له كل تلك المشاعر .. بحذافيرها .. وكأنه يقرأها ككتاب مفتوح .. مما اثار استعجابه هو شخصياً ..

-شكراً لك .. يا دكتور .. سيوصلك السائق للشركة ..

وتناول من يده ... روشتة العلاج .. قبل ان تطالها يدها

ورحل معه .. فى سرعة .. كما حضر ..

وأغلق الباب خلفه .. وهو يتطلع اليها .. بنظرات .. لم

تستطع ان تفسرها .. او .. بالاصح .. لم يكن لديها..

لا القوة .. ولا الرغبة فى تفسيرها .. فالارهاق .. بلغ منها

مبلغاً لا يمنحها أى فرصة .. للتفكير بشكل جيد

وبذهن صاف ..

كانت فى طريقها لرؤية أخيها .. الذى يرقد فى فراشه

بلا حول ولا قوة .. زال أحمرار وجنتيه .. وبدأ تنفسه

فى الانتظام .. حتى حرارته عادت لطبيعتها بفضل الله

..لكن .. أكان هنا حقاً..!!؟؟.. تطلعت حولها .. لعله ترك دليل ما يشى بوجوده المزعوم .. لكن كل شئ كما كان ..

إلا ذهنها المشوش .. فقد أضحى أكثر تشويشاً .. وعدم الاتزان .. يغمرها كلياً ...

لكن طرقات جديدة على الباب .. أيقظتها من شرودها لتفتح من جديد .. لتجد محسن..يقف فى ثباته المعهود وهو يحمل بعض الاكياس فى يديه .. دخل.. دون حتى ان تأذن له .. يضع ما يحمل على طاولة فى منتصف الردهة .. وأستدار اليها .. وهو يمد يده بكوب من القهوة الجاهزة .. :- خذى تناولى هذا .. لتكون فى حال أفضل ..

وكم كانت ممتنة لعطيته... كوب من القهوة .. هو كل ما تحتاجه الأن لتستطيع دفع تشوشها بعيدا .. وتستعيد بعضا من تركيزها .. لتستطيع مواجهته ..

-شكرًا .. كانت الكلمة الاولى التى نطقت بها .. منذ قدومه .. تناولت الكوب .. وجلست ترتشفه فى نهم ..

لم ينطق بكلمة .. وكم كانت ممتنة لذلك .. فقد تركها تتجرع قهوتها .. فى هدوء .. لم ترفع نظراتها اليه ..

بينما هو كان يتلذذ بالتفرس فيها .. مع كل رشفة .. من كوبه ..

أنهت قهوتها .. وانتهت الهدنة بينهما .. بنهايتها.. فقد وضعت الكوب الفارغ .. على الطاولة .. واستدارت

لتواجهه.. فى ثبات استمدته اخيراً:- سيدى .. هل لى بان أسألك .. لما تفعل معنا كل هذا ..؟؟!! ..

-لو كنت سألتينى البارحة هذا السؤال .. لكنت رفعت كتفىّ .. قائلاً لست أدرى .. قالها فى هدوء مقيت .. وبنبرة تخفى فى طياتها الكثير ..

-واليوم ... هل أصبحت تعرف لما ..؟؟!! ..

أومأ برأسه موافقا فى تثاقل وهو يتجرع أخر رشفة فى كوبه .. ويضعه جانبا .. وهو يستند على حافة الطاولة يضع قدما على قدم ... فى مظهر متغطرس كالعادة..

كان مظهره .. لا يناسب شقتها المتواضعة بأى حال من الاحوال .. فالتناقض رهيب .. ان هذا ليس مكانه المثالى

بلا شك .. فهو الان .. يشبه أحد الصور المنزوعة من أحدى مجالات الأزياء الراقية .. والملتصقة على حائط آيل للسقوط ..

-أريدك ... قالها بشكل مفاجئ جعلها تجفل ..وتنتفض كل خلية من خلاياها.. ماذا يقصد بالضبط !!؟؟ ..

تطلعت إليه بنظرات نارية .. قابلها بنظرات مشاكسة قبل أن يكمل فى بطء قاتل ...- أريد الزواج بكِ ..

ألقى قنبلته المدوية ... لتصم أذنيها .. ولا تسمع غير وجيب قلبها الذى تزايد للضعف .. أما هو فكأنه يلقى بخبر عادى .. يقف فى برود .. ينتظر رد فعلها ..

-لست بمزاج جيد ... للمزاح .... او الاستهزاء بى ..سيدى من فضلك .. عليك الانصراف... لم يمهلها لتكمل ما تريد قوله ... بل هتف فى ذهول :- وهل من عاداتى المزاح معكِ... ؟؟!!...

صمتت ... وهى تتطلع اليه فى حيرة .. هل هو فى وعيه ...؟؟!!..

...هكذا سألت نفسها .. وهى تشيح بنظرها .. عندما سمر نظراته على وجهها .. محاولاً ان يستشف ما يعتمل بداخلها من تضارب .. فى افكارها ومشاعرها..

-أجلسى الان ... وستفهمين كل شئ ..

..لم تذعن لطلبه .. هى فى بيتها بالمناسبة .. ولا تتلقى الأوامر منه. ... قررت أن تعارضه .. لكنه هتف بلهجة

تحذيرية .. :- أنا لست صبورا .. ولا أحب تكرار طلبى لأى من كان ...

جلست إتقاءا لشره .. فهو يبدو غير طبيعى بالمرة .. وطلبه العجيب هذا .. بالزواج منها .. يؤكد ظنها...

جلس هو الاخر .. وأخذ نفس عميق .. ثم قال بلهجة واثقة .. ونبرة عميقة :- ما سأطلعك عليه الأن .. لا أحد يعلم به .. سوى منير .. .. صديقى الذى أعده بمثابة أخ لى ...

-تقصد السيد منير ... رئيسى فى الشركة .. !!! ...

-كم منير تعرفين !!!؟... سأل ساخراً فى نفاذ صبر ..

بالطبع هو ... وأرجو أن لا تقاطعيني .. حتى أكمل ما أنا بصدد قوله ... للنهاية ... قال كلمته الاخيرة وهو يجز على أسنانه محذرا ... فأومأت برأسها مزعنة ..

-منذ فترة .. أكتشفت أنى مريض .. وأنى لن أعيش طويلا ... شهقت فى ذعر حقيقى ... فنظر اليها فى ضيق .. فوضعت كفها .. على فمها تكتم شهقاتها .. وهى تنظر اليه بعيون مفتوحة بذعر ... كيف يلومها على ردة فعلها .. إزاء خبر كهذا ..؟؟!! ..

أستطرد .. محاولا تجاهل ردة فعلها ... كل ما أطلبه منكِ أنت تمنحنى عدة أشهر من حياتكِ .. تكونى فيها زوجتى .. وفى المقابل .. سأمنحك .. المال الذى تطلبين

لتأمين مستقبلك .. وإجراء الجراحة لأخيك .. وتأمين مستقبله ايضا ... بضعة أشهر لا غير .. وبعدها ستكونين حرة وغنية .. و

-أرملة ... هتفت مقاطعة له فى غضب هادر...

من تظننى بربك .. لأبيع نفسى مقابل المال .. لولا ما سمعته الان عن مرضك .. ولولا معروفك اليوم مع أخى .. وأنك فى بيتى .. لكان لى معك شأن أخر ..

سيد محسن .. تشرفت بحضرتك .. وأشارت للباب فى عنف .. الا انه لم يرمش له جفن .. ولم يتحرك قيد أنملة من موضعه .. مما أثار حنقها فأصبحت أشبه ببركان على وشك إلقاء حممه .. وما أن همت بثورتها

حتى وقف بشكل فجائي .. قبالتها .. وأشرف عليها بقامته المديدة .. لتشعر بضألتها ... وبتهديده الوشيك لها ..عندما وضع كفيه على كتفيها .. ليجبرها على الجلوس مجدداً...لتجلس على عجل .. رغبة فى الهرب من كفيه .. التى كانت تضغط على كتفيها .. كأنهما جمرتين من نار ..

بدأ يتكلم من جديد .. بنبرة أكثر إقناعاً... نبرة رجل الاعمال التى يجيد استخدامها عند عقد صفقاته ...

-أسمعى... لم أفكر أبداً..بكل هذا الهراء التى تفوهت به منذ لحظات .. فلنتفق انها صفقة ..

-صفقة !!!؟.. هتفت بعدم تصديق .. وهى فاغرة فاها ..

-نعم ... صفقة .. أنا أحتاج إمرأة .. ما تبقى لى من أشهر .. فى حياتى .. وأنت تحتاجين المال اللازم لعلاج أخيك .. ليعود للحياة من جديد ..

اعتقد انها صفقة عادلة .. فكل منا سينال فى النهاية ما يحتاجه ... لا تعطينى رأيك الأن .. فكرى .. وأنا فى انتظارك ...

نهض فجأة من مكانه .. ليرحل مغلقا الباب خلفه .. دون ان يتطلع خلفه .. ولو للحظة ..

اما هى .. فقد ظلت مكانها .. لا تتحرك كدمية شمعية .. بلا روح .. ضربات قلبها ... تعلو وتهبط بجنون .. وإنفاسها

.. متقطعة .. تلهث وكأنها .. لفت الكرة الارضيّة ركضا

.... هربا منه ..

ولكن ... هل من القدر .. مهرب ... !!؟؟ ...

عاد لمكتبه... يتسائل فى حيرة ... ما الذى فعله .. ما الذى دفعه ليعرض عليها عرضا كهذا ...الا يعتبر ذلك نوع من انواع الاستغلال الرخيص .. لحاجتها..

هى ترغب فى شفاء أخيها .. وقد تفعل فى مقابل ذلك أى شئ .. حتى القبول بتلك الصفقة ..

حقاً هل ستفعل !!؟؟... هل ستقبل ..!!؟؟ ..

قاطع سيل أفكاره وخواطره دخول منير ... الذى أكتشف على الفور .. ان هناك خطب ما يشغل فكر صاحبه .. ويؤرقه ..

-محسن ،..!؟؟..هل هناك ما يشغل بالك .. !!؟؟..سأل منير متوترا ...

-نعم ... هناك .. لقد اقدمت على فعلة وانا لا اعرف .. كيف نفذتها هكذا بلا اى تفكير ... ؟؟! ..

-ماذا هناك ... أثرت قلقى...؟!؟! ..

-لقد تقدمت بطلب زواج من المتدربة الجديدة ... قالها محسن دفعة واحدة ... كمن يلقى هما على كتفيه .. فانتفض منير من كرسيه فاغرا فاه فى دهشة ..

-تقصد مودة ... كيف ذلك ..؟!؟! ...

-لا أعلم .. هذا ما حدث .. ذهبت لبيتها بطبيب الشركة عند علمى بمرض اخيها ... وساومتها على الزواج بى ما تبقى من أشهر فى حياتى ... على ان تكون قادرة على علاج اخيها ... وتأمين مستقبلهما بعد رحيلى..

-هل فعلت ذلك ... هل حقا ساومتها... على الزواج بك او علاج اخيها ..؟؟! ...

-نعم ... فعلت .. ولا تنظر إلىّ هكذا .. فأنا لا اعرف كيف اقدمت على فعلة كهذه ...!؟ ...

وعلى عكس المتوقع تماما ... انفجر منير ضاحكاً ... مما دفع محسن للنظر اليه باستعجاب... هل فقد عقله .. وما الذى يدعو للضحك فيما قال ..؟؟ ..

توقف اخيرا منير عن الضحك .. وهو يمسح وجهه بكفيه .. ويقول فى نبرة يقينية:- أخيراً... يا محسن .. فعلتها ..

-فعلت ماذا ..؟!....لا تتحدث بالألغاز الان .. فأنا فى مزاج لا يسمح بذلك ...

-حسنا ... سأفصح .. وسأكون صريحا .. لكن لا تتذمر ... انت من طلب ..

نظر اليه محسن فى نفاذ صبر .. فهتف بسرعة :- حسنا ... حسنا بلا مقدمات ... انت تميل اليها يا صديقى ...ولن اقول تحبها..حتى لا تغضب ... ألقى القنبلة الاخيرة ... وهو يبتسم فى حبور ...وهو يتابع قسمات وجه صاحبه .. التى تبدلت وتغيرت عدة مرات فى ثوان معدودة .. حتى استقرت على ملامح الغضب المختلطة بعدم التصديق .. وهو يقول :- كفاك مزاح ...

انا اتحدث بجدية الان ... عن اى ميل او حب تتحدث يا صديقى ...

قلب محسن ضرغام ... لم ولن يخضع لامرأة ..بعد ما كان... الحب لعبة خاسرة .. انت تعلم تماما انى لم أعد أؤمن به .. ربما دفعنى لما فعلت .. هو رغبتى فى امرأة ما بحياتى ...

امرأة اعلم ان ليس لها مطالب .. ولا تتعلق بى .. ويكون وجودنا سويا .. منفعة لكلانا.. دون ايه التزامات ..

-لماذا هى بالذات .... !!؟؟...سأل منير فى خبث ولماذا ليست واحدة غيرها .. فهناك الكثيرات يرحبن بمطلب كهذا ... من محسن ضرغام .. حتى ولو تصبح اى منهن زوجتك ولو ليوم واحد ..!!؟؟....ولم يكن لديه ما يجيب

به ... فأكتفى بهز كتفيه ... وهو يقول بتهاون :- ربما ...لانها بحاجة لى ولنقودى .. كما انا بحاجة اليها .. هى صفقة ليست اكثر ...لا تشملها المشاعر .. او تلك الامور المتعلقة بالقلب ...

-حسنا ... كما تشاء .. قالها منير غير مقتنع .. لكن ماذا لو رفضت .. عرضك .. ؟!!! ...

-ستقبل ... فأنت لا تعرف كم تحب أخاها ..؟!!!.. وكم تتمنى ان تراه يسير مرة أخرى على قدميه .. ؟!!! ..

-الم أقل لك ...انك متعلق بها ... للحد الذى يدفعك للمساومة على مشاعرها تجاه أخيها لتبقى قربك....

كانت نظرات محسن له .. نارية ...لكنه لم يأبه.. بل استطرد فى ثقة.. وكأنما من واجبه ان ينصحه .. حتى ولو رغما عنه ...:- لكن أحذر يا محسن

هى لن تنصاع لك بسهولة .. فهى تشعر الان بالمهانة ..وانها سلعة تُباع وتُشترى ... ويتم المساومة على مشاعرها فى كفة ... ومصلحة أخيها فى كفة أخرى ...

انها فى امتحان صعب ... كان الله فى عونها .. وفى عونك .. انت ايضا .. فلن تخضع بسهولة .. انها مقاتلة

على الرغم من الفترة البسيطة التى عرفتها فيها .. الا أننى اقولها لك وبكل ثقة ... لن تستطيع إخضاعها لسلطانك بتلك البساطة التى تتوهمها ...

-ستخضع ... وتكون اكثر من راضية .. قالها محسن بغطرسته المعتادة .. فابتسم منير .. وهو يقول :- اتعشم ذلك .. لكنى لا أملك تفاؤلك ..

جرت قدميها جرا ... حتى وصلت لفراش اخيها وتأكدت

انه بخير .. يغط فى نوم عميق..

فأنسحبت بهدوء.. لتعود لحجرتها ... او بالأدق

حجرة أبويها .. والتى اصبحت غرفتها .. بعد

وفاتهما..اصبحت تجد عزاءها فى احضان فراشهما

الذى يحمل انفاسهما ...وصورهما على الحوائط ..

تشعرها بوجودهما .. عن قرب ...

أمسكت باطار احد الصور الموضوعة بجوار فراشها

لتتطلع اليها .. للحظات بجمود .. ثم تنفجر باكية ..

بشهيق .. متقطع .. يدمى القلب ... انها تفتقدهما بشدة

..تفقتقد أمانها .. وهى بين أحضانهما .. وشعورها بالسند والدعم ... انها تشعر .. انها وحيدة فى مواجهة هذا العالم .. بلا ظهر او سند .. يدعم جبهتها..

يا الله ... ماذا هى فاعلة الان .. فى ذاك العرض المخزى.. الذى عرضه عليها ذاك المتغطرس.. اتبيع

روحها فى مقابل بضع آلاف من الجنيهات !!!.... وشفاء أخيها ..!!!؟؟..تسائلت ... ألا يتوقف على تلك الجنيهات التى تستهين بها ...!!!؟؟..الم يقل الطبيب ان لديه فرصة كبيرة للشفاء .. وانها مسألة وقت .. بعد الجراحة ليستعيد مرة أخرى قدرته على السير من جديد ..

ماذا هى فاعلة .. سألت من جديد .. وهى تنظر لصورة أبويها .. ربما تجد إشارة ما تلهمها.. الإجابة المستعصية

...لكن بلا جدوى .. فقد ظلت صورة أبويها على حالها .. من الجمود ... وعقلها المسكين .. يكاد ينفجر من تزاحم الافكار والخواطر...

يا الله ساعدنى .. هكذا هتفت .. والدموع تترقرق من جديد فى مقلتيها.. وهى تحتضن صورة أبويها .. وذهبت فى سبات عميق ... تخلله الكثير والكثير من الأحلام التى .. كان يطل منها وجه واحد .. يساومها على حريتها ... وحدث واحد .. هو عودة أخيها للسير من جديد..

ولكن .. هل يمكن ان يتحقق الحدث الذى تتمناه .... دون ان ترى الوجه المتغطرس مجدداً... !!؟؟....

مر اليومان السابقان ... بهدوء حذّر .. هى لم تذهب لعملها كالمعتاد ويبدو انه أعطى التعليمات لصديقه منير رئيسها .. فلم يتصل او يسأل احد عن سر غيابها والذى طال لليوم الثالث على التوالى ... اما هو .. فلم تسمع عنه .. او منه .. أية أخبار .. وكم حمدت ربها على ذلك .. فهى تريد ان تنقطع نهائيا عن ذاك العمل لا تريد ان ترى وجهه.. كانت تؤهل نفسها لرفض عرضه السخيف .. بل انها وطدت نفسها .. انها لم تسمع منه اى عروض .. وان ذلك .. ما كان الا هذيان نتيجة أرهاقها .. ليس أكثر ..

لكن .. دوما تأتى الرياح بما لا تشتهيه السفن ..

سمعت دق على الباب .. فجفلت .. وتركت ما تعده من طعام .. لتفتح فى حذر .. فتطالعها البزة الفاخرة المقيتة خاصته... انه هو .. حاولت ان تغلق الباب .. وهى تقول فى استهزاء:- طلبك غير متوفر هنا .. ابحث فى مكان أخر . ..وشكراً ..

الا انه وضع قدمه .. ليمنع اغلاقها للباب ..فتدفعه بقوة جسدها .. لتغلقه .. وهو يبتسم فى سخرية .. وهى تجز على أسنانها .. هاتفة:- ارفع قدمك لو سمحت...

-لكنه يستمر فى ابتسامته المقيتة تلك مستمتعا.. وهى تكاد تنفجر غيظاً.. الا ان صوتاً واحداً.. هو من فُض تلك المعركة لصالحه.. صوت يوسف.. هاتفاً من الداخل

-من على الباب يا دودى... ؟؟!! ...

فضعفت مقاومتها فجأة مما أتاح له الدخول بكل سلاسة ..وفجأة اصبح فى منتصف الردهة.. يضع ما يحمل على الطاولة التى تتوسطها ..ليعود ويقترب منها .. وهو يقول .. فى نبرة منخفضة .. كى لا يسمعه يوسف و الذى سمع صرير كرسيه المدولب يقترب:- كيف حالك اليوم يا....دودى؟!!.. وتتسع ابتسامته .. وتزداد بريقاً.. عندما يرى نظراتها تشتعل غضباً.. حاولت مداراته.. على قدر استطاعتها .. عندما ظهر يوسف .. وهو يهتف فى فرحة حقيقية ..:- سيد محسن .. مرحبا بك ..

-كيف حالك اليوم يوسف.. لقد أتيت للاطمئنان عليك ..

وأحضرت لك بعض الأغراض التى قد تساعدك على قضاء الوقت .. عندما تكون وحيدا ..

اقترب يوسف من الأغراض الموضوعة على الطاولة فى شغف .. وبدأ يفضها من أغلفتها القيمة .. فيشهق فى فرحة طاغية .. وهو يهتف :- هل هذا لى ..؟!! .. وهو يحمل ذاك الحاسوب اللوحى بين يديه ..

همت ان ترفض تلك الهدية المبالغ فيها والتى لن تستطيع رد ثمنها .. لكن فرحة أخيها .. لجمتها....

-مودة لن تستطيع رد ثمنه لك ..؟!.. سأل أخيها مندفعا وكأنه علم ما يجول بخاطرها ..

-لا داعى لذلك .. انه هدية .. بمناسبة شفاءك...وبقرب

إجراءك عمليتك الجراحية ... الم تخبرك أختك بذلك..؟!!..

اللعنة عليه .. الف مرة .. لقد ورطها كليا الان .. كيف ستشرح الامر لأخيها .. كيف تخبره .. ان ثمن تلك العملية الجراحية .. هو بيع نفسها لذاك المتغطرس .. لعدة شهور .. تكون فيها جارية له .. تؤتمر بأمره .. وتكون طوع بنانه... اه .. لو تستطيع الان ان تقتله .. لكن لا .. ألن يموت بمفرده فى النهاية .. !!؟... لما تتحمل تبعات جريمة ما .. محكوم على صاحبها بالموت من الاساس !!؟...نفضت عن ذهنها ذاك الخاطر الشرير .. انها لم تفكر بمثل تلك الكراهية من قبل .. ولا تعرف لما انقبض صدرها .. لمجرد ان تستيقظ يوما ..

لتجد الحياة تخلو من وجوده فيها ... انه لازال شابا ..

كم هى قاسية الحياة!!! ...

كفى .. هتف عقلها .. سيقودك ذلك الرجل للجنون ..

حتما .. فأنت فى لحظات .. تنقلبي من ناقمة عليه حد

الرغبة فى قتله ... الى متعاطفة معه .. حد الشفقة ...

أفيقى... هتف عقلها فى حنق ...

-أنا لم أوافق بعد يا يوسف....على مقترح السيد محسن....

هناك بعض المحاذير... قالتها وهى تنظر نظرة جانبية

لذاك الوقح ...

-ايه محاذير مودة...!!! هتف اخيها فى حنق ..انها فرصتى لأعود للسير من جديد ... لن أسامحك لو رفضتى ... أرجوك .. أقبلى... من أجلى...

شعرت بالوهن ...أمام توسلات أخيها....وودت لو تنهض الان .. لتخلع زوج من العيون الساخرة التى تطل منهما .. العبثية ... وتتفرس فيها فى تلك اللحظة ...ألهمنى الصبر يا آلهى ... تكاد تصرخ بها .. وهى محاطة بذاك الضغط النفسى الرهيب .. ما بين توسلات أخيها الذى لا يع .. ولا يفهم ما يدور ... وبين ذاك المتغطرس .. الذى يبتنزها بشكل غير مباشر ..

وهنا .. نهض محسن فى تثاقل .. وكأنما أنجز المهمة التى جاء من أجلها .. ليعلن عن رحيله .. مودعاً يوسف الذى آثر الصمت .. اعلانا عن خيبة امله فى أخته التى ترفض الفرصة المتاحة لعلاجه ... لترافقه للباب .. دون ان تتفوه بكلمة ...اما هو ... فقد وصل للباب..

دون ان يلتفت خلفه .. حتى اذا ما وصل خارجه.. استدار مقتربا وهو يهمس :- وداعاً ... يا دودى ..

وابتعد ترتسم على وجهه ابتسامة رضا عن نفسه..

اما هى .. فقد أغلقت الباب بكل ما أوتيت من قوة وهى تلهث من شدة غضبها ...

أستدارت .. لتقابل نظرات اخيها اللائمة ..

وقد استدار بكرسيه مندفعا لحجرته.. ليغلق الباب خلفه بعاصفة مدوية ..

انه يوم صفق الأبواب .... هتفت ساخرة ...

ظلت تحاول السيطرة على أعصابها .. حتى أنهت اعداد العشاء ... فدخلت لحجرة أخيها .. لتجده على حاله .. حتى انه .. لم يمس .. ذاك الحاسب الذى أهداه له محسن ... وذاك لا يحمل الا دلالة العصيان التام

..هل عليها ان تخبره !!؟؟ ...

أقتربت فى هدوء من أخيها .. لتجلس القرفصاء امام كرسيه حتى تستطيع مقابلة عينيه .. لكنه .. كان يرفض اى تواصل معها .. وهم بإدارة الكرسى فى اتجاه

اخر .. الا انها .. منعته .. وهى تقول :- اريد ان أبلغك امر هام .. وعليك ان تعطينى رأيك فيه بكل صراحة ..

تنبه يوسف لكلام أخته الذى يحمل نبرة جدية .. لا تستعملها عادة فى حديثها معه .. فأنصت فى هدوء

وهى تقول محاولة إخراج كلماتها بثبات:- لقد .. لقد تقدم السيد محسن ضرغام .. لطلب يدى للزواج..

فما رأيك ..؟!!؟ ...

-حقا ..؟!؟.. هتف يوسف مندهشاً... انه خبر رائع

-خبر رائع ..؟!؟.. هتفت باستنكار ..

-أكيد .. طبعا .. أجاب ببساطة ... انه رجل محترم وطيب ... وغنى ايضا ... كما انه يحبك ...

-يحبنى..؟؟؟.. رددت فى بلاهة ... فاغرة فاهها ..

-نعم يحبك .. هذا واضح ... أجاب يوسف بنبرة العالم ببواطن الامور .. انا رجل ..... وأستطيع ان أؤكد لك ذلك

كادت تنفجر ضاحكة ... نعم يحبها .. فله الحق فى قول ذلك .. فهو لا يعلم أى شئ عن تلك الصفقة .. ولا تنوى أخباره بالطبع ..فهو .. اولا واخيرا .. لا يزال طفلا..

-وما رأيك ..؟؟؟... سألت فى مرح ..

-أقبلى بالطبع .. فأنا أحبه حقا ..

صدمتها كلماته الاخيرة .. فصمتت ولم تعقب .. انه يحبه .. ام يفتقد وجود رجل ما يلعب دور الاب .. الذى يفتقده .. كما تفتقده هى فى تلك اللحظات ..؟؟؟ ...

لم تتطرق للموضوع مرة أخرى ... وهى تضع الطعام لأخيها .. الذى رضى عنها اخيرا .. وبدأ فى تناوله .. وألتهى فى حاسوبه الجديد .. أما هى .. فقد اشتعل فكرها ..بالكثير من الخواطر .. التى ستقض مضجعها ... لكثير من ليالى قادمة ..

استيقظ من نومه ... يشعر بصداع شديد .. فمد يده ليتناول دواءه.. ابتلع تلك العقاقير .. وعاد ليضع رأسه على وسادته من جديد .. لعله يذهب فى النوم .. مرة أخرى .. وتنقضى تلك النوبة السخيفة من الصداع ... والذى اصبح يداهمه بكثافة .. فى الآونة الاخيرة ..

أغلق عينيه .. فتمثلت صورتها فجأة .. فى مخيلته..

وهى.. تكاد تشتعل غضباً ....عندما كان فى منزلها..

منذ يومين.. فأبتسم رغما عنه .. ورغما عن ألام رأسه

لا يعرف ... ما ذاك الشعور الذى يسيطر عليه فى حضورها ... رغبة جامحة .. فى استفزازها..

ومشاكستها... ورؤية تلك الحمم .. التى تتطاير من عينيها .. تلك العيون التى تحمل من الرقة واللين .. بقدرما تحمله من العناد والصلابة ... لاحظ ذلك كثيرا أثناء مخاطبتها لأخيها .. وأثناء مخاطبتها له .. النقيض تماما ...فيما تحمله من مشاعر .. لكليهما ...

فهل يوم ما .. سيرى مشاعر الرقة واللين فى نظراتها الرائعة تلك ... لأجله..

تناول هاتفه الجوال .. وبدأ يخط بضع كلمات فى رسالة نصية لها .. وضغط زر إرسال .. فى تردد ..

استيقظت على صوت من هاتفها .. ينبؤها بوصول رسالة

ما .. فتحتها فى تكاسل .. وسرعان ما انتفضت عندما وعت ما تقرأه .. " لم أتلقى ردّك بعد ... وأنا لا املك الكثير من الوقت كما تعلمين"..

-"لماذا ..أنا ؟؟..."... كتبت وهى ترتجف .. وتشعر انها تقترب من الوقوع فى فخه .. بكل بلاهة..

كان ذاك تساؤلها فى رسالتها ..ولم تتلقى ردا .. فقذفت الهاتف .. بجوارها فى يأس .. لكن سرعان ما ضج رنينه.. لتجفل.. وتطالعها نمرة غريبة.. لا تعرف صاحبها ....فتتناوله بحذر .. وكأنه سينفجركلغم فى ايه لحظة... وحدسها يخبرها انه هو .. وقد صدق .. عندما أجابت بصوت مرتعش :- مرحبا ..

-مرحبا .. يا دودى... قالها مازحا.. على عكسها تماما..

فلقد زفرت فى حنق وهى ترد فى توسل :- أرجوك .. لا تبدأ .. ودعنا ننهى الامر الان ..

تجاهل كلماتها الاخيرة .. وهو يقول :- ما ردّك النهائى -لماذا أنا .. !!؟؟... سألت من جديد .. سؤالها الذى لم تتلقى الرد عليه فى رسالتها .. واستطردت فى حماس ..لديك الكثير من المعجبات .. والتى تتمنى اى من هن ... الاقتران بك ..

-يبدو انك تحريتى عنى جيدا ..!!؟؟... سأل مازحا.. من جديد ..

-لم أكن بحاجة لأية تحريات صدقنى ... فشهرتك بالغة السيط فى هذا المضمار ... لا يمكن أخفاءها .. و

... كانت دوما .. الموضوع الرئيسى لنميمة الكثيرين ...

لذلك أسألك من جديد..

لماذا أنا..؟؟!! ...

-أعتبريها أمنيتى الاخيرة....

صدمتها كلماته .. فعم الصمت .. حتى قطعه مسترسلا

-الا تكون الأمنية الاخيرة ... واجبة النفاذ .. ؟؟!!..

-أنت تبتز مشاعرى.. هتفت فى نفاذ صبر .. واليأس يغلف

كلماتها ... ويضعف قدرتها .. فى إثناءه عن رغبته ...

-بل قولى... استميل مشاعرك .. فأنا اكره الابتزاز..

خاصة فى المشاعر ..

انه بارع جدا!! ... فى اللعب بالالفاظ .. و ليَ الكلمات

-حسنا ... قالت وقد جف حلقها .. وخرج صوتها .. وكأنه آت من جوف بئر سحيقة ..أنا موافقة .. لتحقيق رغبتك الاخيرة .. سيد محسن ضرغام ..

كسى الصمت .. كليهما .. حتى قطعه فى هدوء..و لم ينطق الا بكلمة واحدة :- حسنا ..

وأغلق الخط ..

استعدي .. جاءها صوته عبر الهاتف .. فى حماس عكسها تماما .. فمنذ ان أعطت له موافقتها .. وهى تشعر ان روحها غادرتها .. وان حياتها لم يعد لها معنى ..

تشعر بالخواء الشديد .. وكأنها تسير بغير هدى .. فى طريق لا تعرف له نهاية .. معصوبة العينين ... تتنازعها الهواجس والظنون ...

-لما يا سيد محسن ..؟!!... سألت بلامبالاة..

-اولا .. لا أظن من الطبيعى مناداتى بسيد .. فأنا سأصبح زوجك خلال ساعات .. قاطعته صارخة .. تقول ساعات...؟!! ..

استطرد .. بالطبع .. فسنكتب كتابنا الليلة ... الم أبلغك انى أريدك فى أسرع وقت .. ثانيا.. أليس من الطبيعى شراء احتياجات العروس .. وانت لست عروس عادية

....انت عروس محسن ضرغام .. بجانب ذلك ففستان العرس .. لابد ان يكون مناسب لك .. ومن اختيارك.. أليس كذلك ؟؟ ...

صمت تام .. هو كل ما تلقاه .. على الجانب الاخر .. كل ما استطاع الوصول لأسماعه .. على قدر ما أرهف السمع .. هو صوت نحيبها المكتوم .. والذى تحاول مداراته .. على قدر استطاعتها ..

-هل انتِ بخير ..!!؟؟.. سأل بقلق .. اثار تعجبها .. فهى تحاول مدارة حزنها .. كيف استطاع قراءة صوتها.. والتوصل لمعرفة .. انها ليست بخير .. ليست بخير على الإطلاق..

لم تجب على سؤاله .. فاستطرد .. سأمر عَلَيْكِ خلال ساعة .. فهل يناسبك ذلك !!؟؟ ...

-نعم .. كلمة واحدة .. أجابت بها .. ولم يكن عندها القدرة على قول المزيد..

-جيد .. إلى اللقاء بعد ساعة ..

أغلقت هاتفها .. وتطلعت للفراغ .. دموعها لا تطاوعها

فيبدو انها جفت .. بعد يومين كاملين من الهطول اللاإرادى.. كلما تذكرت .. انها اعطته كلمتها .. فهى الان خطيبته بشكل رسمى .. وستكون زوجته خلال ايام انتفض جسدها كله دفعة واحدة .. عندما تذكرت تلك الحقيقة .. كيف تكون زوجة .. لشخص لم تلتقيه الا عدة مرات .. ولم تكن كلها .. مقابلات سارة .. بجانب ذلك

هو مريض .. كما أكد .. فكيف لها التعامل معه .. وما هى طبيعة مرضه ذاك .. والذى حكم عليه بالموت فى مثل تلك السن الصغيرة ... اكتشفت انها لا تعلم عنه اى شئ ..لكن ..ما اراحها قليلا ... ان زواجها منه سيتيح لها

علاج اخيها .. اكبر أمنية لها فى حياتها .. ستتحقق اخيرا ..وهذا هو المهم ..بل ... انه الأهم ..

الأهم من اى شئ .. واى شخص .. واى مشاعر ..

كل ما يخصها .. ستضعه رهن الإعتقال...حتى اشعار أخر .. ستضع دقات قلبها .. واحلام شبابها .. وكل أمانيها .. فى صندوق محكم .. وتلقى به فى اعماق روحها ...

نفضت عنها .. خواطرها .. وذهبت مسرعة .. لتستعد لقدومه ..

انتهت من اعداد نفسها .. وما ان انتهت من وضع اخر دبوس فى حجابها .. حتى رن هاتفها .. انه هو بالتأكيد

اطمأنت على أخيها .. وأبلغته بأنها لن تتأخر .. كان يمكنها أن ترغب فى مجئ أخيها معهما.. لكنها قررت التحجج ببقاءه بمفرده لتعود مسرعة .. فهى لا رغبة لها فى الذهاب معه الى اى مكان .. معه .. هى كريشة فى مهب ريح عاصفة .. لا قدرة لها على تحديد وجهتها ..

ركبت عربته فى صمت .. دون حتى ان تلقى السلام نظر غير عابىء .. وسأل فى هدوء:- كيف حال يوسف!!؟..

-بخير .. أجابت باقتضاب ..

-هل أعجبه الحاسوب ..!؟؟...

-أه .. كثيراً... شكراً لك ...

كل ردودها .. جافة .. لا تزيد عن بضع كلمات.. ولا توليه اهتماما.. نظراتها مركزة على الطريق أمامها .. كان يختلس بعض النظرات الجانبية اليها من حين لاخر .. يرى غضبها المكتوم .. ولمعان الدمع فى عينيها .. ونظراتها التى تشيحها عنه .. حتى لا تتلاقى بعينيه ... يعلم انه يضغط على أعصابها كثيرا

ولكن .. انه يريدها .. يريدها حقا بجواره .. فى اقرب فرصة ممكنة .. الوقت ليس فى صالحه.. ليهادنها ..

ويعطيها وقتها لتتقبل الامر .. وتعتد وجوده فى حياتها..ليته يملك الوقت ..ما كان بخل به عليها..

وصلوا لوجهتهم ... توقفت السيارة .. ليتضاعف وجيب قلبها .. ليصم اذنيها .. تماما .. حتى انها لم تسمع نداءه

الذى تكرر عدة مرات .. لتترجل من العربة .. واخيرا أطاعت بشكل آلى... لا تعرف كيف وصلت لمكتب المأذون .. وما الذى قيل .. وهى تجلس كالمشدوهة..

كل ما وعته.. هو وجود السيد منير رئيسها فى العمل .. الذى ابتسم لها فى تعاطف .. ولم تستطع الرد عليه بابتسامة مماثلة ..فقد كانت كل ملامحها جامدة .. كتمثال بلا روح .. لم تستفيق الا على سؤال المأذون..

هل توافق على الزواج بذاك الرجل الجالس .. فى المقعد المقابل لها .. والذى يبتسم الان .. مشجعا .. كانت فى شبه غيبوبة .. وكان كل ما يجرى او يحدث حولها .. لا يمت لها بأية صلة .. لذا تاهت فى صمتها

ولم تجيب .. حتى سمعت صوت من بعيد .. يوقظها..

-مودة ... أجيبى .. هل انت موافقة ..؟!! ...

-نعم .. انا موافقة .. أجابت فى سرعة .. جعلت الجميع يضحك فى حبور .. اما هى فكانت تعلم .. انها أسرعت فى الإجابة بهذا الشكل المضحك .. حتى لا يمكنها التراجع والتفكير فى الامر .. ولو لثانية واحدة ...

انتفضت عندما سمعت المأذون يقول فى صوت جهورى.. مبارك .. لتعلو أصوات كل من كان بالغرفة من شهود .. بدعوات الرفاء والبنين ...

وتمد يدها لتسلم على أناس لا تعرفهم .. فيما عدا .. منير .. الذى هنأها بحبور .. واحتضن صديقه .. بقوة

معلنا فرحته .. بشكل لا يوصف .. صديقه .. الذى كان يحدق فيها الان .. وكأنها اول امرأة يقع نظره عليها ..

اختطف كفها .. ولوح مودعا للجميع .. وهى تلهث خلفه .. هابطة الدرج ..حتى سيارته ..

فتح لها الباب .. فدخلت فى ثبات لا يعكس تماما .. ما يعتمل بداخلها من مشاعر .. انها لازالت فى طور عدم التصديق .. هل حقا هى الان .. زوجة ذاك الذى يجلس بجوارها .. يقود سيارته .. الى وجهة لا تعلمها .. ويختلس النظرات اليها من حين لاخر ..!!؟ ...

-والآن جاء دور احتياجات العروس ... قالها فى نبرة تحمل سعادة حقيقية .. جعلتها تلتفت اليه .. وتقول بصوت شعرت للوهلة الاولى بانه ليس لها :- أرجوك

انا متعبة ... هل يمكن ان نؤجل تلك الامور ..!!؟...كما انى تركت يوسف وحيدا .. لفترة طويلة..

فعلى ان اعود من اجله ...

-حسنا .. لك ذلك .. لكن غدا .. سأمر عليك .. لننجز ما

لم ننجزه اليوم .. يا مودتى .. قال كلمته الاخيرة فى لهجة مرحة .. جعلتها تجفل .. وتشتعل خجلا .. أضاء وجهها بحمرة محببة .. جعلته يراها .. كما لم يرها من قبل .. دافئة .. ناعمة .. مخملية .. بريئة .. وفى حاجة للحماية .. والامان ...

صرف نظره عنها .. وتيبست يده على مقود السيارة..

محاولا ضبط انفعالاته .. وكبح جماح رغبته .. فى الامساك بكفها .. حتى لا تنقلب تلك الملامح الطفولية الخجلى .. لمشاعر ذعر ورهبة ..عليه ان يكون حذرا فيما يقدم عليه .. فهى اصبحت زوجته .. لكنها ليست مستعدة بعد .. لتحمل تبعات تلك المهمة .. فهى لم تعتاد بعد .. مثل تلك الحقيقة .. انها أصبحت زوجة .. محسن ضرغام .. وَيَا لها من حقيقة !!!...

دخلت الى المركز التجارى الضخم الذى اصر على أصطحابها اليه .. مروا على العديد من واجهات المحال التى تحمل أغلى وأرقى الأزياء ... ولم ينجح الامر .. كما يحدث مع معظم النساء... فى ان يثير حماسها ولو قليلا....لم يثير هذا دهشته .. فهى ليست كأى من النساء .. انها حورية المطر .. .. ظلت على هدوءها الحذر .. حتى فقد هو ايضا حماسه .. فأصطحبها لأحد الأركان .. لتناول بعض القهوة .. ربما تغير بعض من ذاك المزاج .. الذى يشملها .. استأذن .. لبضع دقائق..

هزت رأسها فى لامبالاة... وأخذت ترشف قهوتها بهدوء ...

عاد بعد فترة .. ليجد طاولتهما .. يجلس عليها ..أخرون ..أين ذهبت يا ترى ؟؟؟!!.. تراها هربت .. لكن إلى أين!؟؟... استدار حوله .. يبحث عنها فى كل الوجوه لعلها تقف امام احدى الواجهات .. تنتقى ما يعجبها .. لكنه لم يجدها .. وأخيرا .. تنبه.. لهطول الأمطار خارج احد الأبواب .. فتوقف .. ليندفع خارجاً.. غير عابىء... بالأمطار التى بدأت تتسرب لبزته الغالية ..

كل ما كان يهمه .. هو إيجادها .. وقد صدق حدسه.. فها هى هناك .. تقف وحيدة .. حيث الجميع فى الداخل يتقى المطر .. هى هاهنا... تستقبله .. لكن ليس كما اعتاد ان يراها .. فاتحة له ذراعيها بحبور.. وتتقافز

مثل طفلة مرحة تحت زخاته .. بل على العكس .. كانت تقف .. متسمرة .. لا تحرك ساكناً... لقد كانت فى تلك اللحظة تتذكر أباها .. فضمت نفسها بذراعيها .. تتخيل نفسها بين ذراعيّ ابيها الان .. يغمرها بعطفه .. ويمنحها تفهمه.. و.. يقيها المطر .. ويهبها الامان الذى تفتقده منذ رحل .. اقترب منها فى وجل .. وهو يراها على هذه الحالة..

تمنى لو يقترب .. ليأخذها بين ذراعيه .. ويمنحها ذاك الامان الذى شعر بحاجتها اليه .. تمنى .. لو يطمئنها ويبثها بعض من الدفء .. لتهدأ روحها الملتاعة ولو قليلا..

همس بأسمها:- مودة..

انتبهت أخيرا .. لوجوده .. وفتحت عينيها مذعورة..

وهى تراه يقف تحت الأمطار .. لا يهتم .. بأن تغرقه .. ولا ان يتضرر حذاءه الثمين ..أو بزته الغالية مد يده اليها .. فنظرت لتلك اليد الممدودة فى رهبة.. لا تعرف ما عليها فعله .. كانت تتنازعها رغبتين متناقضتين ... الاولى هى الهرب وفورا من امام تلك اليد الممدودة .. كالمغناطيس .. والثانية هى تقبل تلك اليد والتشبث ..بل والرضا بها ..كالقدر .. ظلت لحظات تنظر ليده .. وبداخلها حرب طاحنة .. تدور رحاها .. بين رغبتيها ... وأخيراً... مدت يدها .. لتلقى بها فى احضان تلك الكف الممدودة ... والتى زفر صاحبها.. براحة واضحة .. وهو يتشبث بكفها .. ويجذبها اليه فى

رقة .. .. ويخرج شئ ما من جيب سترته .. ويدخله برشاقة فى بنصرها ..ليقترب وهو يهمس .. ... مبارك..

نظرت مبهورة لذاك الخاتم الماسى .. وهو يتألق تحت زخات المطر .. فجذب كفها وطبع قبلة رقيقة على باطنه... جعلتها ترتعش .. بل تنتفض .. ليلاحظ هو ردة فعلها ... فيجذبها لتدخل السيارة .. والتى كانت قريبة لحسن حظهما ..

وصل ماء المطر .. لعمق ملابسها .. وهى تخلعها تنتفض بردا ... بعد عودتها .. وبرق من جديد .. ذاك الخاتم .. فى بنصرها.. لتقف لحظات .. تتطلع اليه كالمشدوهة ... ثم تخفض كفها .. وتتنهد فى يأس ..

وقد تذكرت كيف قبل باطن ذاك الكف .. بكل حنان.

ارتعشت .. فعزت ذلك لشعورها بالبرد الشديد .. الذى بدأ بالتسلل لعظامها.. فما فعلته .. كان جنونا .. وكأنه محاولة انتحار يائسة للبقاء تحت وابل من مطر منهمر بتلك القوة والغزارة .. والعجيب .. هو مشاركته لها ذاك الجنون ... كانت تتوقع منه تقريعا .. وتوبيخا عندما وجدها ... لكنه تصرف عكس ما توقعت تماما وكأنها امام شخصية اخرى .. تتلبس جسد ذاك المتغطرس المدعو .. محسن ضرغام ..

أخذت حماما دافئا لعله يطرد ذاك البرد .. الذى يتشبث

بعظامها ... واعدت مشروب ساخن لها .. واطمأنت على اخيها الذى عادت لتجده .. تناول ما اعدته له..

من طعام .. وغط فى نوم عميق ..

تدثرت بالأغطية الثقيلة .. وقررت طرد شبحه من ذاكرتها .. نظرت لخاتمه الذى لم تعتاده بعد..

انها المرة الاولى التى تتنبه لشكل تلك الماسة التى تزينه

انها تشبه الى حد كبير .. قطرة المطر .. تنهدت ولم تعطى للامر التفاتا... لتدثر وهى ترتجف بردا..

وتسقط مجهدة .. فى سبات عميق ..

-سيد محسن .. هل هذا أنت !!؟؟..سأل الصوت المضطرب ...

- نعم .. يوسف .. ماذا هناك ..!!؟؟.. سأل محسن متعجبا عندما سمع صوت يوسف المتوتر .. وهو يحدثه من هاتف اخته .. عندما رأى نمرتها تضئ على شاشته .. طرد النوم من عينه .. انها المرة الاولى التى تطلبه فيها .. لكن خاب ظنه .. عندما سمع صوت يوسف.. والأكثر من خيبة الظن .. هو ذاك القلق الذى تسرب اليه .. عبر صوت يوسف المتوتر ..

-نعم .. سيد محسن انه انا .. يوسف .. رجاءا .. تعال فورا .. انا .. لا اعرف كيفية التصرف .. قالها الولد لاهثا .. انها مودة .. أظن انها محمومة وتهزى ..

انتفض محسن من فراشه وقد شرع بالفعل فى خلع ملابسه .. وهو يحاول ان يبث الصبى بعض الطمأنينة على الرغم من قلقه .. الذى بلغ ذروته الان ..

-حسنا .. يوسف .. لا تقلق .. انا فى الطريق .. ومعى طبيب .. كن معها .. ولا تتركها ..

-حسنا .. أجاب الصبى .. واغلق الهاتف ..

دقات متسارعة على باب شقتهما .. جعلت الصبى يطير ركضا بكرسيه المدولب .. ليفتح الباب على عجل .. ليندفع منه محسن فى لوعة .. وخلفه الطبيب ..

ويتبعهما الصبى .. وعلامات الحزن .. تكسو وجهه ..

اندفع محسن للحجرة .. ليرى للمرة الاولى شعرها الحريرى .. يتوج وسادتها .. وقد اصابه البلل من شدة الحمى .. والعرق الغزير الذى يكلل جبينها ..

ألتقط بسرعة .. غطاء للرأس كان موضوع على مقعد مجاور

ووضعه على رأسها .. قبل ان يأذن للطبيب .. بالدخول لفحصها ..

تنحى جانبا .. وشرع الطبيب فى عمله .. كان القلق يتأكله .. وهو يراها بهذه الحالة .. غائبة عن الدنيا .. تهزى بهمهمات غير مفهومة .. انتهى الطبيب من فحصه .. واستدار يحدثه فى هدوء:- لا تقلق ستكون بخير ..

-لكنها محمومة .. وتهزى .. ؟!!... سأل فى قلق..

ابتسم الطبيب مطمئنا .. هذا طبيعى ..بسبب البرد الشديد ... ستكون بخير .. لكن .. عليكم الاعتناء بمواعيد الدواء .. والتغذية ..

هز محسن رأسه موافقا .. ورافق الطبيب .. مودعا وانتبه ليوسف الذى اتخذ جانبا .. وهو يكاد يبكى خوفا ولوعة على أخته الوحيدة .. اقترب منه محسن وهو يقول فى لهجة حاول ان يكسوها المرح :- لا تقلق .. الطبيب قال انها ستكون بخير .. فقط هى نزلة برد.. شديدة وستتحسن وتكون افضل عما قريب ..

سأذهب لإحضار الدواء .. واعود سريعا ..

-شكرًا .. همس الصبى فى امتنان ..

مسد محسن على رأسه فى حنو .. وهو يقول :- كيف تشكرنى .. انه واجبى .. وانت وأختك مسؤولان منى الان .. هى بصفتها زوجتى .. وانت بصفتك اخيها الصغير العزيز ..

ابتسم الصبى للمرة الاولى .. وبرقت عيناه امتنانا ..

بينما اندفع محسن .. لجلب الدواء ..

جلس قبالتها .. على طرف فراشها .. يتطلع اليها فى شجن ...حتى وهى مريضة .. بذاك الوجه الشاحب..

يراها جميلة .. تطلع اليها .. يحفظ ملامحها عن ظهر قلب .. ومد يده .. يمسد على جبينها .. وشعرها .. الذى خلب لبه .. بلونه الاسود الحالك .. كسماء بلا أنجم..

انها عادية الجمال .. وقد عرف كثير من الفتيات .. يتفوقن على جمالها .. لكن .. هى بالذات .. هى لا غيرها .. استطاعت ان تؤثر فيه .. بشكل هو شخصياً.. يعجز عن وصفه .. عندما يراها .. او يكون بقربها..

يهتز ..ويفقد صوابه .. وكأنها تملك بوصلة .. لتوجيه انفعالاته .. غريبة حالته التى يستشعرها بقربها .. وجميلة هى بطريقتها الخاصة .. بل انها فائقة الجمال..

بدأت تتململ الان .. وتهزى ببضع همهمات .. لم تلتقط أذنيه منها .. سوى اسمه .. نعم .. انها تنطق اسمه ..

أرهف السمع .. فالفضول قاتله .. يريد ان يعرف .. لأى غرض .. تتمتم باسمه .. بتلك الطريقة الناعمة..

التى تفقده صوابه .. لكنه لم يفلح .. لانها صمتت فجأة ..

وبدأت فى فتح عيونها ببطء شديد .. وهى تستفيق تدريجيا .. وما أن رأته .. وهو يجلس هكذا على طرف فراشها لا يفصلها عنه بضع سنتيمترات .. الا انتفضت تعدل من ملابسها .. وتضع يدها على شعرها .. لتكتشف عدم وجود حجابها .. فتهتف فى احراج :- ما الذى تفعله هنا .. ؟؟!!...

لم يجيب الا بابتسامة دافئة .. والادهى انها اكتشفت .. انها لم تكن ترتدى تلك المنامة .. من قام بتغيير ملابسها

-ماذا يحدث هنا ..؟؟!! ..

فجأة ظهرت على الباب سيدة فى نهاية العقد الخامس من عمرها تقريبا .. ممتلئة الجسم قليلا .. يبدو على وجهها سمات الطيبة ..... لتوجه كلامها لمحسن قائلة :- لقد انتهيت سيدى .. من اعداد كل ما طلبته ..

-شكرًا .. يا نبيلة .. تعالى .. لتتعرفى على زوجتى الجميلة .. قالها وهو يحتضن كف مودة فى يده .. بشكل طبيعى .. جعلها ترتعش لهذه الحميمية ..

تقدمت المرأة وهى تقول فى سعادة صادقة :- اهلًا .. يا ابنتى .. ربنا يسعدكم .. نحن فى انتظارك على احر من الجمر .. لتنورى منزلك .. قريبا باذن الله ..

انفتح قلب مودة لتلك السيدة الطيبة .. وشعرت بصدق امنياتها ودعواتها التى تنبع من القلب .. فابتسمت فى رضا وهى تقول :- أشكرك كثيراً ...

قطع محسن حديثهما .. ليعلن وقت الطعام ..

-لا املك شهية .. لا أريد !؟؟..اعترضت مودة..

-يجب ان تتناولى بعض الطعام .. هذه تعليمات الطبيب وقد جعلت السائق يحضر نبيلة .. لتعد لك طعاما شهيا يمنحك القوة .. والشفاء العاجل ..

ابتسمت مودة فى رقة .. وهى تهز رأسها فى خنوع..

منذ متى لم تهنأ بهذا الدلال ..!!؟؟.. ولم يعاملها احد بذاك الحنان .. والاهتمام ..!!؟؟.. منذ أمد بعيد...هكذا أجابت نفسها ...

دخلت نبيلة مرة اخرى بصنية الطعام .. لتضعها أمامها وتسبقها يد محسن لتتناول الملعقة.. ليبدأ فى رفعها مليئة بالطعام لفمها.. لتضحك نبيلة .. وهى تنسحب من الحجرة قائلة :- انا لن ابقى .. فأنا لا أحب ان اكون عزولا ...

ضحك محسن بأريحية .. بينما اعتلى الخجل .. وجنتىّ مودة .. والتى مدت يدها لتأخذ الملعقة من يده .. متجنبة ان تتلاقى نظراتهما .. الا انه ابعد يدها برقة .. بيده الاخرى .. ومدها ليرفع ذقنها .. لتصطدم نظراتها بنظراته

.. ليتوه فى عمق عينيها للحظات .. ثم يستفيق فجأة عندما أبعدت نظراتها .. لتقطع ذاك الرابط الخفى الذى كان يربطهما ...ليترك الملعقة من يده ببطء داخل طبق الحساء .. ويتنحنح فى احراج .. واقفا ..ليندفع خارج الغرفة .. دون ان ينبس بحرف واحد ..

قرر محسن المبيت معهما .. مما جعل يوسف يهلل فرحا..

بينما هى .. لم تستطيب الفكرة .. يا آلهى .. كيف ستبقى معه تحت سقف واحد .. لكن .. توقفت وهى تذكر نفسها

بأنها الان زوجته .. وكون انه يجمعها سقف واحد .. فذاك امر طبيعى .. ولن يكون سقف بيتها المرة القادمة

بل سقف فيلته الفخمة .. وبالأصح .. سقف حجرة نومه .. نومهما... أجفلت عندما تذكرت ذلك ... واحتضنت نفسها بيديها .. كعادتها دائما .. عندما ترغب فى الشعور بالامان ...وذكرت نفسها .. كما تفعل دوماً ..

لا تفكرى كثيرا .. فما كان قد كان .. دعى الامور تسير كما كتبها الله .. فلن تغيرى من القدر شيئا..

اندس محسن بجوار يوسف .. تحت أغطية فراش الاخير .. الذى كان فى منتهى السعادة .. لمشاركة محسن له فراشه ..

-تصبح على خير .. سيد محسن ..

-يمكنك ان تنادينى بمحسن فقط .. فأنا الان زوج اختك

...ونحن ايضا أصدقاء .. أليس كذلك ؟!! ...

-بالطبع ..أنا أحبك كثيرا .. ووافقت على زواجك من اختى ...عندما سألتنى رأيي.. عندما تقدمت لطلب يدها

-حقا .. !!.. سأل محسن .. وقد نهض مستندا على مرفقه ناظرا ليوسف ... هل سألتك عنى .. !!؟...

-نعم .. قالها يوسف وقد شعر بذاته .. فأنا اخوها الوحيد وهى تستشيرنى فى كل أمورها .. وانا وافقت .. عندما اخبرتنى برغبتك بالزواج بها .. فأنا حقا أحبك .. كما انك تحبها ..

ألجمته كلمة أخيها الاخيرة .. لكنه قال فى محاولة لمزاحه:- وكيف عرفت أننى احبها ..!!؟؟ ...

-انا رجل مثلك .. وشؤون الرجال .. لا يفهما الا الرجال .. وانا اعرف انك تحبها .. قالها منتفخ الأوداج مما جعل محسن .. ينفجر ضاحكا ..

سرح محسن فى كلام ذاك الصبى الرائع .. وطالت فترة الصمت بينهما ... حتى قطعها محسن اخيرا ... وهو يقول ليوسف الذى بدأ يغلبه النعاس :- يوسف .. هل لى بطلب صغير منك .. ؟!! ..

-أه .. طبعا .. قالها يوسف متثائبا ..

-اهتم كثيرا بمودة .. وكن دوما بجانبها .. قريبا جدا.. ستعود للسير من جديد .. كن دوما رجلها ..

-انت رجلها .. ألست زوجها .. ؟!!.. سأل الصبى متعجبا ..

-نعم .. طبعا .. قالها محسن فى ثقة .. لكن .. عدنى بأنك ستكون دوما بجوارها.. عندما لا اكون هنا .. عدنى يوسف ...

-أعدك .. قالها الصبى بثقة الرجال .. مستطردا .. أعدك بان اكون جانبها دوما .. ولا اتركها ابدا .. هل انت راض الان !!!؟ ..

-نعم .. كل الرضا .. اجابه بابتسامة شجية ..

وتمنى كل منهما .. الخير للاخر .. وراحا فى سبات عميق ... ولم يكن يدرى كل منهما .. ان هناك أذان أخرى تسترق السمع .. فقد نهضت من فراشها .. لجلب كأس من الماء .. وفكرت فى التطلع لحجرة اخيها ..

لتطمئن ان كل شئ على ما يرام ..

هزها ما سمعت .. وشعرت بوجع عجيب يتسلل الى اعماق روحها .. وجع لا تعرف كنهه .. ولا تستطيع ادراك اسبابه .. لكنها شعرت به حيًا .. قابعا ..ها هناك ..ولا قدرة لديها .. لانتزاعه .. او حتى تسكينه ..

نظرت بطرف عينيها .. عبر باب حجرة اخيها الموارب.. لتراهما.. فى سباتهما .. الفوضوى.. فتتسلل ببطء ... لتقترب من فراشهما .. الذى بالكاد يسعهما

وها هو قلبها .. يشعر بغصة تستبد به .. وهى ترى محسن يأخذ يوسف بين ذراعيه .. وملامح الراحة والسعادة التى تجلت على ملامح اخيها الهانئة .. لا يكفى لوصفها الف كتاب .. وكتاب ..

خرجت من الغرفة .. على أطراف أصابعها ..

وهى تشعر الان .. والآن فقط .. بكامل الرضا .. لزواجها من محسن ضرغام ..

انتهى حفل الزفاف .. كان كحلم رائع .. كطيف .. انتهى فى لحظات ... هكذا شعرت .. وهى بجواره فى سيارته ..وعلى الرغم من انها .. لم تكن على طبيعتها وكانت معظم الوقت .. مشدودة ومتوترة ... الا انها لا تستطيع ان تنكر .. انه كان حفلا أسطوريا بمعنى الكلمة

..فهى فى اروع أحلامها .. لم تكن تتوقع حفل زفاف بتلك الفخامة والروعة .. وان ترتدى ثوب زفاف .. بمثل ذاك الجمال والرقى .. لقد شعرت فى بعض اللحظات التى أطلقت فيها العنان لمشاعرها .. بأنها أحدى أميرات الأساطير القديمة ... وها هى تحقق حلمها بالزواج من

الفارس الذى انتظرته طويلا .. لكن ما ان يقع ناظرها على فارسها .. حتى تستفيق على حقيقة تواجدها بجواره ... هى زوجة تحت الطلب ..

زوجة مؤقتة ... طرف فى صفقة ... يحصل كل منهما بمقتضاها على ما يحتاجه ...

تنبهت انه يرمقها بنظرات جانبية ... فأعتدلت فى جلستها قليلا .. بعد ان حاولت الاسترخاء لدقائق .. وهى تشرد فى خواطرها .. وتنبهت انهما على طريق شبه خال .. فأجابها وقد ادرك فيما تفكر :- أختطفك..

فهل تمانعين ..!!؟؟.. قالها بابتسامة مرحة .. ارتسمت على شفتيه وهو ينظر لها .. ثم يعاود النظر مرة اخرى للطريق ..

-تعنى اننا لن نعود للفيلا الليلة ..!!؟؟.. قالتها مشدوهة

-نعم .. ولمدة ثلاثة ايام .. ستكونين فيها لى وحدى ..

نطق كلماته الاخيرة بلهجة تحمل شوق لا يمكنها ان تخطئه ... فارتعشت بشكل لا أرادى .. لاحظ ارتعاشاتها ولكنه لم يعلق .. فقط لاحظت ابتسامة خبيثة ترتسم على جانب فمه القاسى ..

-ولكن .. يوسف .. انا لم اطمئن عليه..و ..

قاطعها وهو يقول فى هدوء مطمئن :- لا تقلقى ابدا .. أخوك العزيز .. يتمتع بكل وسائل الراحة .. له حجرة خاصة بالطابق الاول .. نظرا لظروفه .. ويعتنى به كل من بالمنزل .. واولهم طبعا .. دادة نبيلة .. وانتِ بنفسكِ لمستى مدى حنانها .. وعطفها .. غداً باذن الله ..

يمكنكِ محادثته والاطمئنان عليه .. هل انت مرتاحة الان ؟؟ ..

هزت رأسها ايجابا .. دون ان تنطق بكلمة واحدة .. فهو لديه اجابة منطقية وشافية لكل سؤال ... بدأ الصداع يشتد .. ويغزو رأسها .. فقد كان يوما .. مرهق لأعصابها منذ بدايته .. فهى لم تنل قسطا وافرا من النوم الليلة الماضية.. فقد أخذت تتقلب على فراشها .. الليل بطوله .. وكأنه فراش من اشواك .. لا يغفو لها جفن .. تتنازعها كل الظنون والشكوك .. وتملأ رأسها .. ثم ما تلا ذلك .. من اعداد وتجهيز .. فى غرفة الفندق التى حجزها لها خصيصا..

لتجهز فيها نفسها .. وتضع زينتها وترتدى فستانها ..

بمساعدة متخصصين عَلى درجة عالية من المهارة .. حتى انها لم تتعرف على نفسها .. عندما تطلعت للمرأة أخيرا لتتساءل .. من تلك الحورية الرائعة .. التى اصبحتها..!!؟؟.. ولم تكن مخطئة .. فنظرات محسن لها .. عندما طلت عليه .. كانت تحمل الكثير .. وتقول الكثير .. فعينيه .. كانت تشع ببريق عجيب .. تراه للمرة الاولى .. ساطعا من تلك الحدقتين الفحميتين لقد تشبث بيدها .. ولم يفلتها طوال الحفل ..

لقد ألقت التحية على المئات ..الليل بطوله..

ممن يحتلوا مكانة مرموقة .. فى عالم الاعمال .. وتربطهم صلة عمل او صداقة .. بمحسن .. وتذكرت

تلك الفتاة الباهرة الحسن .. التى تقدمت فى غنج ..

تتمايل برشاقة .. مقتربة منهما .. لالقاء التحية ..

والمباركة .. كالجميع...الا انها ليست كالجميع بالطبع

...فلقد اقتربت من محسن فى حميمية .. محاولة تقبيله

الا انه .. استطاع بمهارة .. ان يردعها .. مادا يده بطولها

بينهما .. لتتلقى كفه فى برود .. وقسمات وجهها

تحمل الكثير من الوعيد .. حتى انها ..لم تلقى التحية

عليها .. هى العروس .. واندفعت بغضب .. مغادرة

الحفل ... اما هو .. فكان رائق البال .. لم يهتز لحظة..

وكأن ما حدث .. لا يعنيه .. بل انه نظر اليها .. ليبتسم

فى فرحة .. ويعاود التمسك بكفها من جديد ..

وتسألت .. من هذه يا ترى !!؟.. فهى تشعر بغيرة شديدة لزواجه من غيرها .. لما لم يتزوجها .. اذا كان بالفعل يحتاج زوجة .. لفترة مؤقتة .. وكانت ستكون عن جد.. اكثر من مرحبة .. !!؟.. لتكتشف ان هذه الفاتنة.. كانت

حبيبته الماضية.. والتى كان فى سبيله للزواج بها .. لكن لم يتم زفافهما... ولا تعرف الأسباب ..

أخرجها من خواطرها .. عندما هتف فى حماسة :- حمد لله على السلامة ... ها قد وصلنا ..

نظرت حولها .. لتجد بوابة صغيرة .. فُتحت اوتوماتيكيا

لتدخل السيارة .. وتتوقف بعد لحظات امام باب لفيلا صغيرة الحجم .. مكونة من طابقين .. لكنها لم تلاحظ ما حولها .. نظرا للظلام المحيط بها ..لم تحرك ساكناً عندما توقفت العربة .. ولم تترجل من السيارة .. الا عندما اتجه اليها .. يفتح بابها .. ليمد لها يده .. ليساعدها فى الخروج من السيارة ... بحملها الذى تنوء به .. فستان زفافها .. والذى كانت ترفل تحت سمك طبقاته .. لا تستطيع الحركة ..وضعت بالفعل احدى قدميها خارج السيارة .. وما ان همت .. بأخراج الاخرى حتى وجدت نفسها .. مندفعة خارج السيارة بقوة جذب ذراعيه ..كادت ان تسقط.. فقد تيبست قدماها

من طول فترة الجلوس بالعربة دون حركة.. وربما تيبَّست وباتت ترتعش الان .. من رهبتها .. فى حضوره الطاغى .. الذى يشملها الان ..

هى حرفيا بين ذراعيه .. محمولة .. لا تعرف كيف .. لكنه الان يصعد بها الدرج .. ويفتح الباب ببساطة ..انفاسها تتلاحق .. ودقات قلبها .. تشبه الطبول .. وحلقها كصحراء خاصمها المطر منذ سنوات ... تشعر انها فى سبيلها ... لفقدان وعيها .. فجأة وجدت نفسها .. فى غرفتهما ... تقدم لينزلها ببطء .. لتلامس قدماها الارض اخيرا .. وتحاول هى التقاط انفاسها بشئ من الصعوبة مقاومة ذاك الدوار الذى بدأ يغلف وعيها..

-ما رأيك فى غرفتكِ .. ؟!!.. سأل بلهجة مرحة ..

-انها رائعة .. أجابت بصدق .. فهى بالفعل رائعة .. تشبه الحلم .. بستائرها المخملية ... وأضواؤها الخافتة .. والبساط الحريرى .. على ارضيتها ..

وذاك الفراش ذو الحجم الملكى .. والأغطية الذهبية الوثيرة ... والوسائد بكافة الاحجام .. تتوزع على الفراش.. وعلى الأركان .. التى تحتلها عدة مقاعد..

مريحة الشكل .. ذات ذراعين وظهر عال .. تشبه عرش الملوك ...

أشار لباب جانبى .. قائلا :- هناك الحمام .. يمكنكِ الذهاب الان .. لأخذ حمام.. وتبديل ملابسكِ .. ستجدي

كل ما تحتاجينه بالداخل.. وانا سأنتظر هنا .. حتى يحين دورى .. أطاعت فى صمت متجهة .. للحمام .. تتصرف بشكل آلى .. وما ان وصلت لبابه... حتى مازحها.. هاتفاً :- لو احتجتى لاى مساعدة .. سأكون سعيد جدا .. بتقديمها ..

انفجر ضاحكا .. عندما اندفعت هاربة تحتمى بالحمام.. وقد علت حمرة الخجل خديها .. وزاد وجيب قلبها .. الذى لم يهدأ.. منذ ظهر ذاك الرجل القابع خلف هذا الباب ... فى حياتها ..

تبا لكل صفقات العالم ... كانت تعتقد انها تستطيع ان تمنح نفسها .. له دون حب ... لكنها ايقنت الان .. ان الامر لا يعد مستحيلا فقط .. بل هو من سابع المستحيلات ...

ستخلع عنها فستان زفافها .. وستخرج لتبلغه .. بأنها لن تمضى فى تلك الصفقة ... ولتذهب كل وعود الدنيا للجحيم .. اما اخيها .. والذى طلت صورته امام عينيها .. فستقوم بالمستحيل لعلاجه .. لكن ليس بالزواج من ذاك الرجل .. لا .. وألف ..لا... خلعت فستانها

ونزلت تحت رزاز الماء الدافئ .. الذى أنعش مقاومتها وخف من شدة الصداع الذى كان قد بدأ يتملكها ..

نظرت حولها .. لتبحث عن ما ترتديه .. فوجدت قميص نوم طويل من المخمل الأبيض ... بالغ الرقة ..وبجواره معلق على المشجب الاخر .. مئزر من نفس

المخمل واللون ... زفرت براحة .. عند رؤيتها لذاك المئزر .. فهى لا تتخيل .. مجرد تخيل ..ان تخرج له..

بذاك القميص ..البالغ الفتنة ... وخاصة وهى فى سبيلها لإنهاء صفقتهما .. جمعت شعرها الليلى .. فى ربطة خلف رأسها على شكل كعكة... ومسحت ما تبقى من زينة وجهها .. لتظهر ملامحها الحقيقية .. بوضوح.. وتشتد عزيمتها .. لتمضى فى ما قررته الان .. وقد استعادت مودة الحقيقة .. بعيدا عن كل هذا الزيف .. الذى كان يشملها ..

خرجت فى بطء شديد .. يكاد قلبها يعلن استسلامه .. من شدة دقاته .. التى كانت تدق على اضلعها .. فيتردد صداها .. فى اذنيها ..

تعلقت عينيه فورا .. بتلك الحورية التى ظهرت لتوها..

ولم يستطع ان يحيد نظرات عينيه بعيدا عنها .. وقف فى مواجهتها .. وهى يكتنفها صمت مريب

-انه دورى على ما أظن .. اندفع للحمام .. وهو يشير لتلفاز .. كان يقلب فى قنواته .. و ابريق من عصير منعش كان يتناوله .. اشربى بعض من ذاك العصير انه منعش .. اقترح وهو يغلق باب الحمام خلفه ..

ليس لها رغبة فى تناول اى شئ .. فمعدتها وكأن احد ما قد ألقى فيها .. عدة جوالات من الإسمنت .. كانت تشعر بها .. خاوية ... ومتخمة فى نفس الوقت .. تركت محول التلفاز جانبا.. بعد ان أغلقته .. وأخذت تفكر .. كيف تخرج نفسها من تلك الورطة التى ألقت بنفسها فيها...

كانت مستغرقة فى افكارها .. لدرجة انها لم تستشعر خروجه من الحمام منتعشا .. يرتدى منامته.. ويفرك رأسه المبلل .. بمنشفته... التى ألقى بها بعيدا على طرف احد المقاعد .. كان يشبه احد الاطفال المشاغبين .. بشعره المشعث ذاك ... مما جعل معدتها تنقبض بغير سبب معروف ... توجه لطاولة الزينة ...يتعطرويمشط شعره الموج الحالك السواد..

ويستدير ليواجهها... لتشعر بقشعريرة تجتاحها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها .. وهو يتقدم فى بطء .. ناحيتها .. تاهت كل حروفها .. وظل صوتها حبيس لا يستطيع الخروج .. لتخبره بما انتوته اخيرا ..وأخفضت نظراتها .. وهو يتقدم اليها .. حتى اصبح لا يفصله عنها

الا عدة سنتيمترات .. فوضع كفه تحت ذقنها ..ليرفع رأسها .. ويقابل نظراتها المضطربة بجنون ..

-أخيرا .. رأيت ملامح وجهك المحببة .. بعد ان غطتها تلك المساحيق لتخفيها عنى طوال الحفل...

لم تستطع التفوه بحرف واحد .. بينما هو استطرد وهو يأسر وجهها بين كفيه .. لكن على الرغم من ذلك لم تستطع تلك المساحيق ان تخفى شحوب روحك... التى أفتقدها ..كان الان ينظر فى عمق عينيها .. التى بدأت تترقرق فيهما الدموع ... فاقترب من جبينها .. يلثمه برقة .. ليعود مرة اخرى .. لحديث عينيها الذى يجذبه كالمغناطيس .. قرب رأسها .. من صدره .. لتكون الان بين ذراعيه .. يربت على رأسها بحنان بالغ..

وهو يهمس بمسامعها.. :- لا تخافى منى .. فأنا لست الغول ذو العين الحمراء .. والمخالب ال ..

قاطعته اخيرا .. وهى تقول فى ذعر:- لا تكمل أرجوك وصفك التفصيلى يفزعنى .. فأنا أرتعب وبشدة ..

انفجر ضاحكا .. وهزتها ضحكاته .. التى وصلتها عبر صدره الذى تتوسده الان ..

-هذا رائع ... هتف مازحا ...فقد عرفت الان كيف أدفعك للاحتماء بين ذراعىّ ...

ابعدها عنه .. ليتطلع اليها من جديد ...

-هيا .. تعالى.. أخذ بكفها وبيده الاخرى يدفع الغطاء بعيدا .. ليدخلها الفراش .. ويعيد الغطاء عليها من جديد

.. وينحنى ليقبل جبينها .. وهو يهمس :- انت شديدة الشحوب ... يبدو انكِ لم تستعيدى كامل صحتك .. نامى ... وانا هنا بجوارك اقرأ قليلا .. أشار لأحد المقاعد الوثيرة .. والتى تجاورها طاولة يعتليها أحد المصابيح ...وبعض الكتب ..

ابتعد وابتسامة رقيقة تعلو شفتيه ... لتتطلع اليه لحظات حيث يجلس .. وتغمض عينيها .. لتغرق فى نوم عميق وقد نسيت كل ما اتخذته من قرارت بشأن صفقتهما المزعومة...

رفرفت أهدابها عدة مرات .. حتى فتحت عيونها .. لتحملق فيما حولها .. مشوشة لا تدرك أين هى .!!؟ ..

حتى تنبهت اخيرا .. انها على الفراش .. فى غرفة نومهما .. والبارحة كانت ليلة عرسها .. دعكت عينيها لتدرك انها لا تحلم .. وانها متيقظة تماما .. حتى تأكدت انها الان فى كامل يقظتها .. عندما وقعت عيناها على محسن .. وهو يغط فى نوم عميق على ذاك المقعد .. الذى جلس يقرأ عليه مساءا .. كانت ملامحه الان .. هادئة.. وديعة .. وهو يسترخى نائما محتضنا كتابه .. المفتوح على صدره .. ورأسه تميل يمينا.. وشعره الاشعس مبعثر فى فوضى ..

ابتسمت عندما تذكرت حنانه ووداعته معها بالامس ..

غادرت الفراش بهدوء .. ومشت على أطراف أصابعها

حتى لا توقظه .. تتجه خارج الغرفة .. تستكشف تلك

الفيلا .. التى لم تلحظ اى من معالمها بالامس ..

دارت فى انحائها حتى عثرت على المطبخ .. كم تشعر

بالجوع .. فهى حرفيا .. لم تتناول الطعام منذ البارحة

ومعدتها تصدر أصواتا قتالية تشبه .. سباب ما .. على

تركها خاوية كل هذا الوقت ..

فتحت الثلاجة .. وشرعت فى اعداد الافطار .. واندمجت

بكل طاقتها .. ورائحة الطعام الشهية .. تخدر حواسها..

كليا .. حتى انها لم تستشعر ذاك الذى اقترب من الخلف

.. ليفاجأها باحتضانها .. لتصرخ فى رعب حقيقى وهى تمسك بيدها صحن البيض الذى انتهت من اعداده للتو.. فيقفز الطعام .. ليلتصق بالسقف ..

ابتعد عنها .. وهو يضحك بشكل هيستيرى.. على ملامحها التى اعتلاها ... الغضب .. و الخجل فى آن واحد ..

-هل رأيت نتيجة أفعالك !!؟... هتفت بصوت حانق تضغط على أسنانها غيظا ... وهى تنظر للطعام الطائر بحسرة..

-لا عليكِ...سأتسلق الحائط لألعقه ان كان هذا يرضيكِ...قالها .. ونوبة الضحك لم تفارقه ... فاقترب منها وعينيه تلمع ببريق عابث .. واستطرد فى هدوء..

أخافها .. او .. ربما هناك أفطار أشهى بأنتظارى ..

كان يقول كلماته الاخيرة .. وهو يقترب ليضمها.. وإذ فجأة .. يسقط الطعام المعلق .. على رأسه .. وكتفيه.. ليصمت هو .. وتضع هى كفها على فمها... مصعوقه وأخيرا تنفجر ضاحكة ... وتهرب مسرعة .. من أمامه ورنات ضحكاتها .. تسبقها .. وهى تختبئ خوفا من عقابه ... الا انه ما لبث .. ان ازال الطعام الملتصق به ..واسرع خلفها ... وابتسامة كبيرة تغطى وجهه ..

صرخت عندما ظهر على باب غرفتهما .. ووقفت على الفراش تحتمى بعدة وسائد طالتها يديها .. انفجر ضاحكا

وهو يندفع للفراش .. وهو يهتف بصوت جهورى :- اذن فهى الحرب ... ويجمع عدة وسائد فى طريقه .. وبدأت المعركة ... وكل منهما يكيل للاخر الضربات .. كيفما اتفق .. والوسائد تتطاير يميناً ويساراً.. وصوت ضحكاته وصراخها .. يشق الصمت حولهما .. حتى كانت أخر وسائدها .. فقذفتها فى يأس ... لتصطدم برأسه .. و.. يتوقف هو ..

ترك وسائده من يده ... ووقف فى صمت ... يحاول استجماع قوته .. ليجابه ذاك الالم الذى بدأ يعتصر رأسه .. قفزت هى .. تصرخ منتشية بأنتصارها...

و هى تضحك فى فرح غامر .. حتى تنبهت الى غرابة صمته .. الذى ظنت انه مزحة فى البداية .. اقتربت .. فى

خوف .. وخاصة عندما بدأ ينهار فجأة .. ليسقط على ركبتيه .. يحيط رأسه بكلتا يديه .. فى الم صامت يهزه هزا .. وضعت كفها على كتفه .. :- محسن .. هل انت بخير ..!!؟... سألت فى رعب حقيقى ..

ولم يجبها .. فى ساعتها .. بل أشار لأحد الأدراج .. ففتحته.. لتجد دواءا.. فتناولته بسرعة ..وقدمته له مع كأس من الماء .. رفع رأسه بصعوبة .. ليتناوله ...

لقد رأته .. عدة مرات يتناول .. هذا الدواء .. فى اكثر من مناسبة جمعتهما ... كانت تلاحظه .. يتناوله خفية..

ولم تشأ .. ان تسأله .. شعرت انه امر خاص .. وليس من المستحسن ان تتدخل .. فقد يشعره ذلك بالحرج..

مضت عدة دقائق .. فتحرك .. من رقدته التى كان يتقوقع فيها على نفسه .. وتمدد على الفراش .. وهو مغمض العينين .. شاحب الوجه .. جلست على طرف الفراش ... تراقبه .. لا تدرى ما يجب عليها فعله .. تشعر بالذنب .. يعتصرها ... فهى السبب فيما يعانى ..

وضعت كفها .. بشكل لا أرادى .. على كفه الممدودة بجوارها .. فتنبه .. وأمسك بها ... ليجذبها .. ليضعها على جبينه .. فتقترب منه مرغمة .. لتفعل ما طلب وتترك كفها .. حيث وضعها .. على مقدمة رأسه التى تشعر بها .. تنبض بقوة .. عند احد جانبى جبهته ظلت .. على وضعها لا تتحرك ..حتى شعرت بتنفسه

ينتظم .. وايقنت انه راح فى نوم عميق .. فتحركت ببطء ... وجذبت عليه الغطاء .. ونزلت للمطبخ .. لتنظيف الفوضى الذى خلفها ذاك الافطار الكارثة .. وتكلم أخيها .. يوسف .. لقد افتقدته كثيرا .. انها الليلة الاولى التى تبيتها بعيدا عنه ...

سمعت الرنين على الطرف الاخر ... واخيرا .. رد يوسف .. الذى ما ان سمع صوتها .. حتى هتف فى سعادة :- مودة .. أوحشتنى كثيرا .. جدا ...

-حبيبى .. هل انت بخير .. وكل الامور .. تريحك!!..

-اه .. نعم .. انتِ لم ترى حجرتى بعد .. انها رائعة وبها كل ما أتمنى .. من ألعاب .. و دادة نبيلة .. تعتنى بى ..

وبكل طلباتى ... لكن اخبرينى .. متى تأتين .. فأنا افتقدكِ ..

-غدا .. او بعد غد .. سنكون عندك .. ولن نفترق ثانية ابدا ..

-المهم ان تكون سعيدة ... وكيف هو محسن ... هو رجل طيب .. أليس كذلك ..؟!..و يحبك كثيرا أختى ..

-نعم .. هو رجل رائع يوسف .. وهو يرسل لك كثير السلام ..

-حسنا .. استمتعا باجازتكما .. وانا فى انتظاركما بشوق

-حسنا .. حبيبى .. اعتنى بنفسك .. وسلامى لدادة نبيلة ..

-حاضر دودى ... أحبك كثيرا ..

-وانا ايضا أحبك .. وافتقدتك .. اعتنى بحالك لأجلى .. وداعا ...

وأنهت المكالمة .. ولا يحتل عقلها .. وفكرها .. غير صورة محسن .. وهو يتألم بذلك الشكل .. الذى انفطر له قلبها ...فقدت شهيتها للطعام كليا .. فصنعت لها فنجانا من الشاى... لتشربه على احدى الشرفات .. لتطالعها الطبيعة الساحرة التى تحيط بالمكان .. فاستنشقت.. ما استطاعت ان تملأ به رئتيها .. من ذاك الهواء النقى ..الذى أعاد لها صفاء ذهنها .. وبعض من قوتها ..

أنهت فنجانها .. وقررت المرور على حجرة نومها .. لتطمئن على محسن .. فتحت باب الغرفة فى بطء شديد حتى لا توقظه .. لكن ما ان .. اصطدمت عيناها بالفراش .. حتى اكتشفت انه فارغ .. ففتحت الباب فى عجالة .. تنظر حولها .. فى قلق .. لتصطدم به .. وهو خارج من الحمام .. يجفف شعره بمنشفته كالعادة ..

لتقفز للوراء عدة خطوات فى فزع ... بينما يرفع هو المنشفة عن رأسه .. ولا يحاول ان تلتقى عيونهما.. وكأنه يتجنبها...

-هل انت بخير ..؟؟.. سألت فى قلق ..

-نعم ... لم يزد عليها .. وقالها بلهجة باردة .. لامبالية..

هل هو غاضب منها .. ام ماذا ..!!؟؟.. هى لم تكن تقصد .. ما حدث كان محض صدفة ..

اما هو .. فقد شعر برغبة عارمة .. فى نسيان ما حدث لم يكن يتمنى ابدا .. ان ترى نقطة ضعفه .. لم يكن يتمنى ان ترى .. فى بداية حياتهما معا .. تداعيات مرضه تسيطر عليه .. كان يحتفظ بتلك اللحظات دوما لنفسه .. ولم يكن يُطلع عليها اى مخلوق .. اى كان ..

وهى بالذات .. لا يريدها .. ان تراه .. وهو يعانى..

لم يكن يتمنى هذا ابدا ... لكن تأتى الرياح .. بما لا تشتهيه السفن .. وسيحاول من الان وصاعدا .. ان ينحيها جانبا .. فى تلك اللحظات .. الغير مرغوب فيها .. والتى تفرض نفسها .. على حياته .. بلا استئذان..

-أرتدى ملابسكِ .. لنذهب لتناول الغداء بالخارج .. أمرها بشكل رسمى .. وهو يتناول ملابسه من خزينة الملابس .. ويضعها على الفراش .. ليشرع فى ارتداءها... لتندفع هى فى خجل .. للحمام .. وهى تتعجب من ذلك الرجل .. ما عادت تدرك .. ان كان ذاك الذى تركته فى الغرفة منذ لحظات والذى يمثل محسن ضرغام كما عرفته .. وتعرفه .. رجل الاعمال

شديد الصرامة ..ام .. هو ذاك الرجل .. الذى حملها لفراشهما فى حنان .. بالامس .. ليدثرها .. ويطبع قبلة المساء على جبينها ..

انها .. لم تعد تدرى .. فى الاساس .. لما هى مهتمة .. لإجابة هذا السؤال .. فليكن من يكون....

..لما تهتم ..؟؟؟..

ارتدت احد الفساتين التى وجدتها معلقة بعناية فى خزانة ملابسها .. أخرجت احداها .. كان زهرى اللون .. قمة فى الجمال .. والعجيب انها وجدته يناسبها تماما .. وكأنه صنع خصيصا لها .. مثل كل شئ وجدته .. من اجلها لقد استطاع شراء كل احتياجاتها .. بذوق راقى .. ومقاس اكثر من مناسب ... نظرت لصورتها فى المرأة ..وألقت لها قبلة .. وهى راضية تمام عن زينتها

خرجت تبحث عنه .. فهى لم تجده ينتظرها فى غرفة النوم .. لابد وانه مل .. من الانتظار .. هبطت الدرج

وما ان طلت من علياءها حتى قابلتها زوج من العيون القاتمة التى تفرست فيها بصمت جعل الخجل يتملكها..

ولكنه ظل على صمته .. ولم يعلق بكلمة على اناقتها بل نهض مادا لها يده.. ليلتقط كفها .. فى احضان كفه ويصعدا العربة..

لم يتفوه كلاهما بكلمة واحدة .. حتى وصلوا لذاك المطعم الفاخر .. الذى استنتجت من معاملة موظفيه لهما .. معرفتهم السابقة بمحسن ..

حضر الطعام فى سرعة ...كانت جائعة جدا فهى لم تتناول افطارها .. فالتهمت ما قدم لها .. فى شهية..

وهى فى غاية الاستمتاع ..

-هل أعجبك الطعام ..؟؟!!.. كانت الكلمات الاولى التى تفوه بها .. منذ ما حدث صباحا .. اخيرا فك أسر لسانه

-أه .. نعم .. انه شهى .. شكرًا ..

-كنت جائعة .. على ما يبدو ..!؟!؟...سأل فى خبث مشيرا لشهيتها المفتوحة ..

-صحيح .. كنت جائعة جدا.. فأحدهما .. جعل لافطارى اجنحة.. ليطير ..

انفجر ضاحكا ... وقد تذكر ما حدث فى المطبخ صباحا وراح ينظر اليها ... نظرات نافذة اربكتها .. كما انها ..لا تعرف لما شعرت بقبضة باردة تعتصر معدتها .. وهى تراه يعاود الضحك والمزاح من جديد .. بعد ذاك الجو القاتم من الصمت .. الذى شملهما منذ معركة الوسائد ... شعور غريب .. وكأنما مع ضحكاته هلت الشمس لتسطع من

جديد .. من خلف غيوم الصمت والكآبة .. لتدفئ قلبها

.. الذى اصبح يحيرها كثيرا .. منذ

أصطدمت به .. للمرة الاولى .. وحتى الان ..

كانا يتناولان .. مشروب خفيف .. بعد الغداء.. وقد شعرت

بالنشوة .. بعد ان تناولت ذاك الطعام الشهى..

كما فعلت تلك الموسيقى .. التى كانت تنساب الان ..

من حولها .. أفاعيلها ... فقد بدأت تحرك قدمها طربا

شعر هو بقدمها .. التى ترقص منفردة تحت فراش

مائدتهما.. فابتسم .. ولم يعلق .. وانصت للموسيقى

مستمتعا هو الاخر .. حتى فرغت من كأسها.. فمد كفه

ليلتقط كفها .. ويغادرا فى هدوء ..

مرت الفترة بعد عودتهما .. هادئة لا يتخللها .. اى حوار من اى نوع .. تركها .. وذهب لغرفة المكتبة..ليقرأ.. لم تكن تدرى .. هل هو بخير .. ام عاد لصومعة صمته من جديد ... جلست تتطلع.. الى شاشة التلفاز .. فى شرود تام .. حتى انها لم تنتبه ان التلفاز منخفض الصوت جدا .. حتى سمعت موسيقاها المحببة تصدح من مكان ما .. تطلعت للتلفاز مرة اخرى .. ورفعت صوته .. لكن لم يكن هو مصدر الموسيقى التى سمعتها فى المطعم منذ ساعات .. اغلقت التلفاز وتتبعت الصوت .. فى فضول .. حتى وصلت لغرفة المكتب حيث يعتكف محسن .. وحيدا مع كتابه .. لم ترد ان تزعجه.. فقررت العودة ادراجها..

لكن الباب .. فُتح فجأة .. ليطل منه محسن .. مبتسما

كأنه يتوقع حضورها .. مد يده ليلتقط كفها .. وقبل ان تدرك ما يحدث .. كانت بين ذراعيه يتمايل بها ..

أين ذهبت انفاسها .. انها لا تستطيع التقاطها من فرط الدهشة .. كانت دقات قلبها تعلو وتهبط .. متأرجحة فى سعادة .. كان يقزفها بعيدا .. ويعود ليجذبها ثانية لصدره...كان راقص بارع .. وهى .. كانت كالريشة.. يتلاعب بها .. دون ان تدرى وجهتها ..

كان يحقق احد احلام يقظتها .. فى ان ترقص مع فارسها ذات يوم .. على تلك الموسيقى الحالمة ..

لكن .. هل حقا .. يحقق حلمها .. ام يشوهه..!!؟؟ ..

فهو ليس بفارسها .. حتى الحلم .. اصبح ممسوخ ..

لن تستطيع ان تحلمه من جديد .. مع فارس أخر ..

ايقظها ذلك الخاطر .. من نشوة الرقص بين ذراعيه..

لتتشنج خطواتها .. وتكاد قدميها تتعثر ..

فيدرك ذلك .. بسرعة عجيبة .. فيقربها من صدره

فى بطء... ويلف ذراعيه حولها .. يكاد يحملها .. فلا

تلامس قدميها الارض .. كانت الان .. وبفارق الطول

بينهما .. على تماس تام مع قلبه .. تلتصق أذنها بصدره

فتصلها دقات قلبه القوية .. المفعمة بالحياة .. فيدب فى

أوصالها شعور عجيب .. جعلها ترتعش .. شعور لم تستطع

تفسيره .. او حتى تعريفه .. فهى منذ طالعتها عينيه

القاتمتين .. وهى تختبر مشاعر وأحاسيس جديدة

لم تخبرها من قبل .. ولم تكن تدرك من الاساس ..

بوجودها .. مشاعر آسرة .. لا تستطيع منها فكاكا..

ولا تستطيع تجاهلها .. فهى مؤلمة وموجعة .. وفى نفس

الوقت .. لذيذة ومنعشة... لا تعرف كيف تجتمع

الاضداد... لكن هذا ما تشعر به .. وهى بالقرب منه

يشملها حضوره الطاغى.. و تتملكها نظرات عينيه..

وتنتفض للمسات يديه ..

لا تعرف كم مر من الوقت .. وهى تتأرجح برقة ونعومة ..

بين هاتين الذراعين ..

ولا تعرف كيف واتتها الجرأة .. لتجد ذراعيها يتشابكان

خلف رقبته .. !!؟؟... هالها ما وجدت عليه نفسها ..

فحاولت التملص بهدوء من أسره.. الا انه احكم ذراعيه كالطوق حول خصرها .. ليهمس لها :- أهدأى..

فأنا لن .. أفكر فى أوذيكِ ...

-لكن .. قالتها مشتتة .. لا تعرف ما يجب ان تقول .. او تفعل ..

-أنا لن أرغمك على شئ لا تريدينه.... فدوما .. أفضل المرأة راغبة بين ذراعىّ ... مابالك وتلك المرأة زوجتى ...أحمرت وجنتاها .. ليس خجلاً.. من تصريحه الوقح بل غضباً.. و... و .. ماذا !!؟؟.. سألت نفسها .. لما غضبت من اتيانه ذكر نساء أخريات .. مروا بحياته..

ماذا يمكن ان نسمى ما يحدث ..!!؟؟.. عند ذاك الخاطر

لم تحتمل اكثر .. لتتخلص ببراعة من حصار ذراعيه...و

تندفع .. بسرعة الضوء .. هاربة من تأثيره عليها ..

لتلتجأ لغرفة نومهما .. بعيدا عن نظراته ولمساته..

و ... ذكرياته البغيضة ..

تظاهرت بالنوم .. وغطت نفسها .. من عنقها حتى اخمص قدميها ..ومر الوقت .. ولم يأتى للغرفة..

فتوقعت انه غضب لردة فعلها ..فظلت.. على حالة ترقب لقدومه .. حتى تعبت .. وكلت أعصابها المشدودة

وغفت رغما عنها ...

كان نوما قلقا مليئا بالاحلام .. التى تحمل لها الكثير من افكارها وخواطرها المزعجة .. التى تقاومها .. طوال النهار .. لتأتى رغما عنها .. تقلقها ليلا ..

رفرفت أهدابها .. .. وهى تهمهم .. فى ضيق .. وتتقلب على الفراش .. حتى تنبه عقلها .. فاستيقظت دفعة واحدة .. تتلفت حولها .. منزعجة ..

حتى سقطت عيناها.. على محسن .. وهو يجلس جلسة البارحة نفسها.. نائم يحتضن كتابه .. ممدد القدمين يضع احدهما على الاخرى .. متشابكتان.. ورأسه يميل على كتفه الأيمن .. وشعره يتبعثر فى فوضى محببة.. وقسمات وجهه.. ..تحمل الكثير من الوداعة....

شعرت بجفاف حلقها .. فقامت بهدوء .. تسكب لنفسها كأس ماء .. من الطاولة القريبة منه ..

شربت بعضه دفعة واحدة .. وعادت ببطء بعد ان عاودت ملئ الكأس .. لتتركه بجانبها .. على الطاولة الملاصقة للفراش.. وفى اثناء عودتها .. تعثرت فى شئ ما .. فاهتز الكأس .. لتندفع منه المياه .. على وجهها .. وصدرها .. ولا تكتفى.. بل تفقد توازنها.. لتسقط مباشرة .. فى احضانه.. ليستيقظ فزعا.. وقد ناله بعض رزاز المياه .. جعله يستفيق بالقوة .. ويستوعب الامر فى لحظات... ليبتسم فى عبث.. وهو يراها .. بهذا الوضع الحميمى فيحكم ذراعيه حولها..

-هذا ما عنيته تماما .. بان تكون اكثر من راضية ..

-انتظر .. قالتها متلجلجة.. سأشرح لك .. فلقد تعثرت قدمى ...و ..

-ومرحبا بكِ... حيث يجب ان تكونى ... هتف فى مرح كاتما ضحكاته .. على ملامح وجهها المشدوهة..

كأرنبة وقعت فى الفخ .. وتلعثمها الواضح .. حتى انها .. لم تستطع تجميع جملة مفيدة .. تدافع بها عن نفسها..

نظر لملامحها المذعورة .. وعلى العكس تماما .. تعجب من نظراتها المتقدة التى تحمل تحدى غريب .. انها خليط عجيب حقا .. مزيج من القوة والضعف ..

الخوف والشجاعة .. اللين والحزم .. زم ما بين حاجبيه وهو يهمس فى شرود :- قطة برية ..

-ماذا .. !!؟.. سألت فى تعجب .. ونظراتها لازالت فى أسر محكم من نظراته .. فتمتم مكررا فى وعى هذه المرة ..

:- انتِ .. قطة .. قطتى ذات المخالب الناعمة

والمواء الصاخب .. والنظرات النارية ..

-انا لست بقطتك .. انا لست بقطة أحد .. ولا تنعتنى بذلك مرة أخرى .. قالتها فى ضيق..

اثار استغرابه .. حتى انه لمح اول ظهور لخيط من الدموع .. يظهر على خديها ..

فك احكام ذراعيه حولها .. ليضم وجهها بكفيه .. وهو ينظر مباشرة لعمق عينيها .. متسائلا..

-ماذا هناك .. أخبرينى ..!!؟.. كان يرى فى ذاك العمق

ألما ..ووجعا .. يصعب مداراته .. او اخفائه ..

وبدل من إجابته .. شهقت بالبكاء .. لتسقط على ركبتيها

وهى تتسلل بعيدا عن صدره .. ليعيدها مرة أخرى..

محتضنا إياها فى حيرة ..

ما الذى قاله .. يستدعى كل ذاك البكاء الحار ..؟؟؟..

لم ينبس بحرف واحد .. كان فقط .. ينتظرها ان تهدأ..

حتى يعرف سبب دموعها .. التى قذفتها كالحمم .. من اعماق روحها ...

-انه أبى .. قالتها تقريبا .. وهى مزروعة الرأس بصدره .. مما جعله يبعدها قليلا .. ليستوضح ما قالت ..:- انه أبى رحمه الله .. هو من كان يدللنى بقطتى..

وبدأت دموعها الحارة فى الجريان على نهرى خديها من جديد ..

انها تشتاق ابيها .. شعر بغصة فى قلبه .. فهو بغير قصد منه .. نكأ جراح فراقه .. بقلبها.. وأيقظ ذكراه..

التى لم تمت .. فى مخيلتها .. انها تفتقده .. هذا مؤكد..

ضم رأسها مرة أخرى لصدره .. وطبع بعض من القبل الحانية على قمة رأسها .. وهو يكاد يعتصرها ضماً..

-أنا أسف .... همس بصدق.. لم أكن..

قاطعته هى هذه المرة .. وهى تبتعد بخجل عن صدره

-:...لا عَلَيْك... فقط .. لم اسمعها منذ سنوات .. وسماعها ايقظ ذكراه ..وغيرت الموضوع فورا .. حتى لا تغلبها دموعها من جديد .. انا الاسفة.. فلقد أيقظتك فزعا....والماء يغطيك ...

ابتسم ولم يعلق .. فقد ادرك بذكاء .. رغبتها فى تغيير الموضوع الذى ينبش ذكرياتها الدفينة ..

ومد يده ... لتضع كفها فى احضان كفه .. كما اعتادت ليعود بها للفراش مرة أخرى .. ويدثرها .. ثم .. يقول فى وداعة:- سأكون بقربك على الجانب الاخر من الفراش حتى تنامى .. هيا ..

بالفعل ظل بقربها .. حتى راحت فى نوم عميق ... لتراه

فى أحلامها من جديد .. لكن هذه المرة

فارسا .. يصارع هواجسها وظنونها ... ويقضى عليها

ليعود.. ليضمها لصدره منتصرا...

استيقظ من نومه ... ليجدها لاتزل تغط فى نوم عميق..

ودموع الامس .. قد جفت على خديها ..و قد منحتها براءة

.. مَست قلبه .. لقد غلبه النوم .. بجوارها .. وهو لا يدرى

.. كان يجلس .. يهدأها بعد ثورة المشاعر والحنين ..

التى اجتاحتها بالامس ..

ولم يشعر الا صباحا .. عندما حاول ان ينقلب بجسده ..

فوجد عائق ما .. ايقظه مذعورا .. فاذ به .. شعرها .. الذى

التف بطريقة ما .. على احدى كفيه .. وذاك الغطاء

الذى أعاق قدمه... حمد الله .. انها لم تستيقظ .. فحل

الاشتباك بين خصلات شعرها .. وكفه .. وكذاك تحرر

من أسر الغطاء لإحدى قدميه .. و عاد من جديد .. يلتفت

لتلك الفتنة النائمة ... ليشبع منها ناظريه ... ويحدث نفسه ... معترفا...

انه يريدها .. يحتاجها .. يشتهيها ... لكن..

لن يكون ذاك الرجل الذى .. يحصل على ما يريد .. قبل ان يبادر بالعطاء ... هى .. معذورة فى خوفها ..

وابتعادها .. هى لم تحبنى .. وربما لن تحبنى ..

وعلى الرغم من ذلك .. لن اجبرها على ما هو حق لى .. قبل ان اعطيها حقها .. فى ان ترتاح على الاقل لقربى... اعطيها الوقت .. فى ان تعتاد وجودى فى حياتها .. وان تتقبله .... و فى اللحظة التى يصلنى منها

ما انتظر .. ستكون اولى لحظات سعادتى الحقيقة معها .. على الرغم من انى لا أنكر .. أننى اشعر براحة رائعة .. وانا بالقرب منها ... روحى فى حالة نشوة عجيبة.. لم يسبق ان مررت بها ... ماذا فعلتى بى..

يا حورية المطر ..؟؟!!... سأل فى هيام .. وهو ينهض فى تثاقل .. حتى لا يوقظها ..ندت منها بعض الهمهمات فاستدار .. لمواجهتها .. ليجدها مازالت نائمة .. فابتسم فى وداعة .. وخرج من الغرفة..

وعاد بعد قليل ... محملا بإفطار شهى .. جلس على طرف الفراش .. وتناول قطعة من الخبز المحمص.. وقربها من انفها .. وهو يكتم انفاسه حتى لا تفضحه تلك

الضحكات التى قد تفلت منه .. فتملمت وهى تتمتم بحروف غير مفهومة .. فأعاد الكَرة .. لترفرف أهدابها هذه المرة .. وهى تقول شبة نائمة .. اشم رائحة طعام يبدو انى جائعة ... فتحت الان عينيها ... لتتسع عن اخرها .. وهى تراه .. يكتم ضحكاته ... وما ان تأكد من استيقاظها .. حتى ترك العنان اخيرا ... لتنساب ضحكاته مجلجلة ... لتنهض فى احراج .. تلملم أطراف غطاءها .. وتعقد ما بين عينيها .. و تشبك ذراعيها امام صدرها فى تحفز ... حتى توقفت ضحكاته وشعر بالتهديد :- ماذا هناك ... !!؟؟... كنت اوقظك .. لتتناولى إفطاركِ .. قالها .. وهو يجاهد لوأد القهقهات التى لم يستطع السيطرة عليها ...

-هذه طريقة توقظ بها كلبك البوليسي ... لا عروس فى شهر العسل ...قالتها وهى تجز على أسنانها .. ويبدو انها لم تستيقظ بعد بكامل وعيها .. لتقول له ذلك .. وتعترض بهذا الشكل ..لكنه لم يعبء باعتراضها

-هل تريدين ان اوقظك بأحدى الوردات ... التى أتلاعب بها على خَدَّك .. !!؟؟... كما يحدث فى الافلام ..واقول .. ثم تنحنح يغير من نبرة صوته مقلدا صوت احد الممثلين .. استيقظى يا حياتى ...جهزت لكِ الافطار ...يا عمرى...

لم ترد .. بل هى فقط .. جزت على أسنانها .. حتى تظل متمسكة بغضبها.. ولا تنفجر ضاحكة ..لذاك التقليد البارع ....ولكنها فشلت كالعادة.. لتنفجر ضاحكة..

ويشاركها ضحكاتها..تنهدت بعد ان هدأت نوبة الضحك

وقالت فى تعجب :-وما مناسبة هذا الافطارالفاخر..!!؟..

غيرت الموضوع ببراعة كعادتها... وقرر مجاراتها...

فاجاب:-..اعتبريه تعويض عن افطار الامس الطائر..

ابتسمت للذكرى... وهى تهتف .. متناولة احد شرائح الخبز المحمص التى اغراها برائحته لتستيقظ.. وأخذت تقضمها فى شهية .. :- تعويض مقبول .. وبدأت فى تناول افطارها ... باستمتاع كالعادة ..وهو يراقبها جزلاً

تتراقص الابتسامات على جانبىّ فمه.. لعفويتها.. فكم من فتاة عرف .. تتصرف بمثل تلك البراءة والتلقائية التى تثير جنونه... وتخلب لبه ..!!؟...

تنبهت لنظراته المتفحصة.. فشعرت بطعامها.. يقف فى حلقها.. فتناولت بضع رشفات من كأس الماء .... ثم قالت:- ستتناول افطارك ... ام تكتفى بالمشاهدة؟..!

اومأ برأسه ... وهو يمد يده ليتناول احد شرائح الخبز فينتزع منها ... قطعة بيده .. ويغمسها بطبق العسل .. ويرفعها.. لفمها .. لتتفاجأ.. وتنظر اليه فى استفسار فيبتسم .. ويشجعها بإيماءة من رأسه .. لتلتقم ما بيده غير قادرة حتى على مضغه ... من أثر المفاجأة ..

-أول قطعة خبز أضعها بفمك.. قررت ان تكون مغموسة بالعسل ... حتى لا تتذوقى على يدىّ.. غير الشهد.. قالها

وبريق ما .. لم تستطع تمييزه.. يسطع من عمق عينيه..

ليصل بطريقة ما .. ليحتل روحها فى ثوان ...

الان ...حرفيا .. تذوقت قضمة العسل.. لتشعر بها تذوب

فى دمها.. لا فى فمها ..

الان فقط ... عرفت ما معنى ...ان تدمع عيناها.. لمجرد

كلمات .. هى كلمات .. لكن بالنسبة لها فى تلك

اللحظة... هى تعويذة سحرية .. القاها فى غفلة من قلبها

وعقلها... ليحتل تلك الروح الوثابة .. التى تنتشى الان

...محلقة..من فرحتها... ببضع حروف ..

ظلت تحملق فيه ... وهى فى متاهة من المشاعر .. التى

أسرتها كليا.. ليشعر هو .. بما تعانى.. من حيرة وتخبط

ليقترب منها اكثر .. محتضنا وجهها .. بين كفيه .. وهو يتطلع بنظرة شاملة لمعالم هذ الوجه المتعجبة..ليهمس فى وله.. بنبرة خدرتها:- أعدك.. ستكون حياتكِ معى.. فى طعم الشهد .. يا مودتى...

كان ذلك فوق طاقة احتمالها... فانحدرت الدموع الحارة الممزوجة بعبق الفرحة .. والدهشة.. تجرى .. على خديها.. لتستقبلهم كفيه.. وتوأدهم...فى سرعة..

وهو يلومها.. بنظرات معاتبة.. ويحنى هامتها ليقبل جبينها الندى... ويطوقه بحنو بين ذراعيه....

ثم يقترب اكثر .. ليستقر خدها على كتفه.. وتمتد ذراعاه.... لتحيط بخصرها.. فلا تتشنج كالعادة.. بل

يشعر باسترخاءها فى احضانه.. فيبتسم فى فرحة غامرة... ويزداد وجيب قلبه المتلهف ... فها هى .. اللحظة.... التى كان بانتظارها..انه على اعتاب السعادة وهى ...

.....انها على استعداد للعطاء..

.....مقابل ... وعد منه... ..

.....بحياة بطعم الشهد..

...وهو ابدا...

.. لم..

...ولن... يخلف وعده..

كانت لاتزل مستيقظة بين ذراعيه..لم تجرؤ على الحركة .. او حتى التنفس .. حتى شعرت بذراعيه يتثاقلان حول جسدها .. وأنفاسه تنتظم .. دلالة على خلوده للنوم .. فتسللت ببطء شديد .. متخلصة من أسر احضانه.. وبدأت تخرج .. من الفراش ..

تململ هو .. لتتوقف باستدارة بسيطة .. تتأكد اذا كان قد استيقظ .. او مازال يغط فى نومه ..

لكنه .. استدار ليعطى لها ظهره .. ويجذب الغطاء على

جسده .. وهو يهمهم فى نومه .. حسنا .. هو لازال .. قابعا فى دنيا الأحلام .. خرجت من الفراش .. ارتدت مئزرها الصوفي .. لتخرج للشرفة .. وتغلق بابها خلفها

..ارتعشت عندما أصدم وجهها .. بتلك الريح الباردة فى مثل هذا الوقت من العام ..

لكن على الرغم من ذلك .. شعرت بحاجتها .. اليها..

فهى بالفعل .. تحتاج لبعض الهواء الذى ينعشها قليلا

ويتسلل الى اعماق روحها .. ربما يُطفئ ذاك اللهب

الذى يستعر بداخلها ..

ماذا دهاها ..؟؟! ..

تشعر انها .. وقعت فى الأسر .. وأى أسر!!!..

تشعر ان نفسها .. تناقض نفسها .. وتخاصم نفسها..

ولا تعود .. مودة التى تعرفها .. ولا تتصالح مع ذاتها .. الا وهى بين ذراعيه ..

هناك .. حيث ذاك العالم السرمدي من الحنان ..

هناك .. حيث تجد نفسها .. وقد عادت .. مودة القديمة

دون ألم .. دون اوجاع .. دون حزن .. دون معاناة..

هناك .. هى تلك الجنة التى تمنتها.. واعتقدت انها..

لن تحصل عليها .. ابدا ...

انه ... الفردوس.. هناك .. بين احضانه ..

ذاك الاكتشاف .. يوترها .. يقلقها .. يؤرقها..

كيف يحدث لها ذلك .. وكيف سمحت له بالحدوث .. !!

كانت دوما .. تحيط ذاك الخافق فى صدرها .. بأسوار فولاذية .. لا يمكن اختراقها.. كيف .. بل الف كيف ..

.. فى غفلة منها .. تجده هنا ....(وضعت كفها على قلبها)..هكذا فجأة دون اى مقدمات ..

نظرت للسماء الملبدة بالغيوم الكثيفة نذير طقس سئ..

وهى تهتف فى وجل :- يا آلهى... ساعدنى .. فأنت مقلب القلوب .. كيف اجد قلبى هكذا فجأة .. لا يخفق الا لمرآه.. ولا يحن الا لوجوده .. ولا يشتاق الا لقربه..

دمعت عيناها ... وهى لا تستطيع قول المزيد .. فقد عجزت كلماتها ... عن وصف حالها .. وما يعانيه قلبها....ان روحها تنزف ألما .. وسهدا .. وعشقا ..

عقلها .. لا يتوقف لحظات عن التفكير .. لا يتوقف عن تقريعها..معارضا قلبها فى كل خطواته.. التى حتى لم يخطط لها .. كيف تعشقين من جعل منك مجرد إمرأة لارضاء رغباته .. امرأة مؤقتة .. يلهو بها .. كدمية لا إرادة لها .. يحركها كيفما شاء .. لتمتعه وتلهيه ..

انت بعتِ نفسك .. من اجل مال لشفاء اخيكِ.. هل انت راضية عن حالكِ... هل انت راضية !!.. ثم .. أخر الاخبار انك .. واقعة فى حبه .. حمقاااء .. انتفضت عندما .. وصلها صوت عقلها الحانق .. ولم تكن تعرف كيف لها ان تتصرف .. فى لحظات وحدتها من دونه..

تصر على معاملته .. بأسلوب جاف .. يعكس مدى حنقها ورفضها ... لكن ما ان يطالعها محياه .. وتسكن بين ذراعيه .. ويمنحها كل هذا الحنان .. والتفهم ..

تنسى كل ما عداه .. وتلقى بقرارتها.. تحت قدميها..

وتصبح اسيرته من جديد ..

ان ما يخيفها حقا .. حد الذعر... هو استعذابها لذاك الأسر... وعدم الرغبة فى الفكاك منه ..

انها اصبحت تخاف.. ترتعب.. انه سيتركها وحيدة فى دنياها .. من جديد .. يا آلهى .. هكذا هتفت فى جزع..

هى ليس لديها القدرة على تحمل فقد جديد .. فهى لم تبرأ بعد .. من جراح فقد أبويها .. ولا تعتقد انها ستبرأ منها يوميا .. وها هو يضاف لها تهديد .. بفقد جديد..

فقد .. لا تعتقد انها قادرة على تحمله .. وانسابت عبراتها من جديد .. حارة .. على خديها الباردين .. من جراء الريح التى لا زالت تهدر ..

ارتجفت .. عندما وصل البرد لعظامها.. فمسحت دموعها.. ودلفت فى هدوء للغرفة .. أغلقت النافذة بأحكام ..

وعادت .. لتستديرحول الفراش لتواجهه فى ذاك الجانب الخاص به .. فتنحنى فى وله .. تستند على ركبتيها .. متطلعة اليه فى عشق .. تحفظ ملامح وجهه المحببة لقلبها .. والموشومة بها روحها... ولم تكن تع انها .. مدت

يدها .. لتتحسس ملامحه .. وتمرر بظهر كفها على جانب وجهه .. الذى وللعجب .. أسترخت قسماته.. وفجأة .. فتح اجفانه فى تثاقل .. ونظر اليها .. وابتسامة ناعمة ترتسم بتناقض على ذاك الفم الصارم .. فيرفع كفه محتضنا كفها .. الذى كان لايزال.. على خده .. فيقبله فى شوق .. وفجأة .. يجذبها فى قوة..

لتجد نفسها .. طائرة بقوة جذبه لها وجسدها معلق فى الهواء لثوان .. لتفاجئ بأنها .. أصبحت على الجانب الاخر..الخاص بها .. من الفراش..

وهو يأسرها .. متكئا على مرفقه.. متطلعا اليها فى نظرات شقية مشاكسة ..

كانت تلهث من فرط دهشتها.. وانفعالها..وهمست مداعبة من بين انفاسها المتلاحقة:- هل تهوى كل ما هو طائر ..يا سيد ... اولا الطعام .. وثانيا .. انا ..!!؟؟

لم يجبها الا بابتسامة ... وهو يسأل بدوره.. وعيونه لم تفارقها نظراته العبثية :- هل تعرفين .. عاقبة العبث.. مع سبع نائم ..!!؟؟ ..

هزت رأسها نفياً... وقد ازداد وجيب قلبها..

واشتعلت وجنتاها .. خجلا.. ونظراتها تبرق بشعاع عشق ... نفذ الى أعماقه ...

فقال بلهجة تحمل مَرَحا ..:- اذن ... انتظرى... وسترين .. وغابت فى بحر عينيه ... وحنان احضانه ..

كانت تجلس بجواره .. داخل العربة فى طريق العودة من رحلة شهر العسل القصيرة .. كانت فى قمة سعادتها فأخيرا .. سترى اخيها الصغير .. يوسف .. لكم اشتاقت اليه .. والى البقاء بقربه .. لا تنكر ان الايام الماضية التى قضتها بصحبة محسن .. كانت من اجمل ما عاشت فى حياتها .. من ايام .. رنت منها نظرة سريعة الى من يجلس بجوارها خلف مقود السيارة .. وينظر بانتباه مبالغ فيه للطريق .. لكن ما ان شعر بنظرتها .. حتى استدار ليهبها ابتسامة .. هى اروع ما يكون .. كانت كافية .. لتذيب قلبها .. كقطعة سكر .. ويااليته اكتفى..

بل مد يده .. ليحتضن كفها .. ليعبث بخاتمه الذى لم تخلعه من إصبعها.. منذ ان وضعه للمرة الاولى .. تحت زخات الأمطار .. انتفض القلب الذائب تحت لمساته العفوية .. ولم تجرؤ ان تنظر اليه مرة أخرى..

ظلت معظم الطريق صامتة على غير عادتها .. حتى هو لم يسعى لفتح اى موضوع للمناقشة .. وجذب أطراف الحديث .. الا انه ..قام بتشغيل .. احد أسطوانات الموسيقى .. لتطالعهم موسيقى حالمة .. لطالما أحبتها..

فتاهت فى خضم انغامها..وفجأة .. شعرت بانه يحاول التركيز على القيادة بشكل .. اكثر من المعتاد .. حتى انه قطع استرسالها مع موسيقاها .. بغلقه لها.. مع تقليله من سرعة العربة .. بشكل ملحوظ ...

واخيرا .. أوقف العربة .. على احد جانبى الطريقة..

ليستند برأسه على المقود فى إرهاق وتعب واضحين..

-ماذا هناك ..!!؟.. سألت فى ذعر واضح..

-ذاك الصداع اللعين .. انه يشوش على رؤيتى للطريق

قالها وهو يجز على اسنانه ألما ..

-هل تناولت دواءك ... أحضره لك !!؟.. سألت فى لهفة

.. اضطراب ..

-لقد تناولته بالفعل .. لكن مفعوله لم يعد قويا

كالسابق ..

أعطنى حبة أخرى .. ربما لو زدت الجرعة اتحسن قليلا ..

هذا الالم .. يقتلنى .. و ذاك الغثيان يفتك بى..

تناولت دواءه .. لتخرج احد الحبات بيد مرتعشة لتضعها فى فمه .. وتضع زجاجة المياه على شفتيه .. ليرفع رأسه فى صعوبة شديدة .. ويتجرع بضع رشفات

يبتلع بها حبة الدواء ..

نظرت حولها .. انها صحراء فى كافة الأنحاء .. والطريق تقريبا ..قاحلة .. لا تمر سيارة واحدة .. الا كل فترة طويلة .. والوقت يمر .. والمساء على وشك ان يهل .. والطقس بارد لحد كبير .. ارتعشت تلقائيا..

لتفاجأ به .. يفتح السيارة .. ليستدير ويفتح بابها الخلفى .. ويدخل ليتمدد على المقعد الخلفى .. ويضم ركبتيه لصدره فى وضع جنينى أثار دمعها .. فانتفضت تخرج من السيارة .. لتستدير وتغلق الباب الذى تركه خلفه مفتوحا

.. اتقاءا للبرد .. وتعود لتركب امام مقود السيارة .. منذ متى لم تقد سيارة .. وخاصة سيارة بهذه الفخامة ..كم شكرت ربها .. انها استجابت لإلحاح ابيها

بان تتعلم قيادة السيارات .. حتى إجادتها .. كانت تقود سيارة ابيها .. قديمة الطراز .. الصغيرة الحجم .. وذاك منذ عدة سنوات .. حتى اضطرت لبيعها .. حتى تستطيع تدبير امور معيشتها هى وأخوها .. بعد تلك الحادثة المشؤومة.. وتدبر مصاريف علاج أخيها .. ..

همست فى سرها .. يا رب .. ثم قالت بصوت عال..

بسم الله الرحمن الرحيم .. وأدارت العربة .. لتزأر كوحش .. فتعاود الكرة .. بشجاعة اكبر .. وتبدأ العربة

لتتحرك فى هدوء ..

شعر هو بتحرك العربة .. فنظر لتلك التى امام المقود نظرة تحمل الكثير من التقدير .. والامتنان ..

وأغمض عينيه .. لينعم بالراحة .. تغمره الثقة .. فى من يملك زمام الامور الان .. حوريته ..

وصلت أخيرا ...لحدود فيلته .. توقفت .. لتستدير لذاك الراقد فى المقعد الخلفى .. لتمد يدها .. توقظه بهدوء .. لكنه .. كان مستيقظ بالفعل .. وقد تحسن لحد كبير ..

-لقد وصلنا .. بالقرب من الفيلا ..

تحرك فى هدوء .. ليأتى ليستقل العربة مكان المقود بعد ان غادرته هى .. كانت بفطرتها تعلم انه .. لن يحب ان يراه احدهم فى هذه الحالة .. وهى من تقود العربة..

كم هى ذكية .. ومذهلة .. هكذا فكر .. احتلت مكانها بجواره من جديد.. فنظر اليها .. وهو يتناول يدها .. ليقبلها فى امتنان ..

-هل قلت لكِ من قبل .. انك استثنائية!!!..

-لا أعتقد ذلك .. على ما اتذكر ..قالتها وهى تدعى التفكير ... بنبرة مرحة .. جذبت الابتسامات الى شفتيه وهو يقود العربة باتجاه فيلتهما ..

دخلت العربة .. بوابة الفيلا .. وبدأ حارس البوابة العجوز فى التهليل لوصول العروسين .. حتى وصلا لمدخل الفيلا .. فقفزت هى .. من العربة .. لتندفع للفيلا فى شوق لمرأى أخيها .. الذى ظهر عندما سمع صوت الحارس مندفع هو الاخر بكرسيه المدولب .. خارجا من غرفة على يمينها .. لتندفع اليه فى شوق .. تحتضنه .. ودمعها يسبقها ..ظل أخوها فى أحضانها فترة حتى جذب نفسه .. ثم جذبها من يدها .. لترى غرفته ..

سارت خلفه .. وهى فى قمة سعادتها لرؤية حماسه .. فهى لم تره سعيدا بهذا الشكل منذ وقت بعيد ..

دخلت معه الغرفة .. والتى كانت بحق حلم كل مراهق فى سنه .. فراش رائع .. ألعاب ألكترونية .. شاشة تلفاز

حديثة .. بأختصار هى حلم .. حتى ان بها حمام خاص بها .. وقد تم تجهيزه .. ليوافق احتياجاته ايضا

يا له من رجل !!!... فكرت بحب... وامتنان .. فى محسن وما فعله ....من اجل راحة أخيها ..

-مرحبا يوسف .. قالها محسن بوجه مرتاح القسمات وابتسامة صافية .. رغم بوادر الإرهاق التى تشع من عينيه ..

-مرحبا محسن .. اشتقت لك كثيرا .. واندفع لاحتضانه فى لهفة .. مما أثار دهشة مودة .. أخوها كان دوما متحفظا فى إظهار مشاعره للآخرين ... لكن مع محسن انكسرت تلك القاعدة .. ليصبح هو الاستثناء ...

انه يحبه .. ويقدره بالفعل ...

خرجا معا من غرفة يوسف لتبادرهما نبيلة بأطلاق أحد أروع استقبالاتها.. والتى كانت عبارة عن وابل متواصل من الزغاريد .. حتى أخر أنفاسها .. لتدمع عيناها فرحا وهى تحتضن مودة .. فى شوق ..

بينما اطلق محسن ضحكاته .. على ذاك الاستقبال الحافل .. وهو يحتضن خصر مودة فى تملك أسعدها..

-غرفتكما فى انتظار استقبالكما... أرتاحا قليلا .. حتى أعد العشاء المخصوص من يد نبيلة .. قالتها نبيلة فى زهو وتفاخر ..

-أه .... فأنا بحق اشعر بشوق حقيقى لطعامك الشهى الذى لا يقاوم ..أكمل كلماته الاخيرة وهو يجذب مودة معه

لأعلى الدرج حتى حجرتهما... وهو لايزل يحتجز خصرها أسير ذراعه ..

كانت غرفة قمة فى الاناقة والحميمية .. أحبتها فورا..

وكأنه يعلم ما تحب .. من ألوان وأساس .. حتى وجدته بكل التفاصيل التى تفضلها ..

ذاك الفراش الواسع .. والأغطية الزهرية الوثيرة...

والستائر الرقيقة .. من المخمل .. وابسطة الأرضيات الحريرية .. كل تفصيلة كانت رائعة وفى محلها تماما..

-أعجبتك الغرفة ..؟!!... سأل فى نظرة شاملة لملامح وجهها التى شملها الارتياح و السعادة ..

-نعم .. كثيرا .. هى رائعة ... همست بصدق..

-ليس هناك ما هو أكثر منك روعة .. همس بها وهو يجذبها لأحضانه .. ويطبع قبلة على جبينها ..

رفعت رأسها لتطلع لملامحه المرهقة .. بحب طاغ..

يقلقها ذاك البريق الخافت لعينيه .. وهذا الالم الساكن فى حدقتيه .. انها بحق تتمزق خوفا عليه .. ولا تريده ان يدرك ذلك ..فهى تعلم .. علم اليقين .. ان اكثر ما يثير غضبه .. ويشعل ثورته .. هو شعوره بالشفقة من ناحيتها .. او التى يفسرها هو شفقة .. لكنها ليست كذلك

هى قلق مغلف برعب حقيقى .. على حاله .. التى تشعر

بتدهورها .. وهى لا تستطيع أن تحرك ساكناً.. وليس بيدها حيلة ما لانقاذه مما يعانى ..

شعر هو بذاك الصراع الذى يعتمل فى تلك العيون الصافية .. التى لا تستطيع مداراة مشاعرها .. أو تزييف نظراتها الصادقة .. التى لا تعرف الكذب..

فأشتد ضمه لها ... الى صدره .. ولم يفلتها .. الا عندما سمع طرقا على باب الغرفة ... انتفضت له هى ..

اما هو فاذن لمن على الباب ..

فاذا بها نبيلة .. وقد أحضرت حقائبهما..... وتعلمهم بأن العشاء جاهز من أجلهم .. ويوسف بأنتظارهما فى الأسفل على المائدة ...

استيقظت من نومها على صوت رذاذ ماء قادم من الحمام ..

تطلعت لتلك الساعة الحائطية الرائعة التى تزين احد

أركان غرفتهما..لتدرك انها الثامنة تقريبا .. خرج

كعادته .. ينفض الماء عن رأسه بالمنشفة التى يغيب

وجهه كله فيها .. حتى يخرج من بين طياتها

مشعث الرأس ... كطفل مشاغب .. إلى أين هو ذاهب فى

تلك الساعة المبكرة ..!!؟..

-صباح الخير .. هتفت وابتسامة تزين شفتيها..

-صباح النور .. قالها دون ان يلتفت لها .. ويكمل ارتداء

ملابسه ..

-هل احضر لك الفطور .. !!؟ ..

-لا داعى لذلك .. فنبيلة بالتأكيد أتمت أعداده .. فهى تعرف مواعيدى وعاداتى.. قالها مسرعا .. دون ان يفكر فى النظر اليها ..أليست هى الاولى .. بمعرفة تلك المواعيد والعادات ..!!؟.. أليست زوجته ..!!؟ ..

لا .. هتف عقلها فى حنق لائما .. لا لست كذلك..

أنت زوجة مؤقتة .. ليس عليك معرفة أى مما يخصه

أنت هنا .. لفترة محددة .. بعدها .. هو لن يخصك..

وكل ما يتعلق به .. سيكون من الماضى .. هكذا افضل ما الداعى .. لتتعلقى بمعرفة .. لن تورثك سوى الالم فيما بعد ..

تاهت فى حوار عقلها .. ولم تشعر به الا وهو ينحنى ليقبل خدها قبلة باردة .. ويلقى بالسلام .. ويغادر فى سرعة ..

استلقت من جديد .. لعل النوم يزور أجفانها...

ويريحها من عقلها الذى يجلدها بأفكاره التى .. تمزقها

لكن .. من أين يأتى النوم ..!!؟؟ ..

ووسادتها كجمر مشتعل .. وصدرها يستعر بزفرات كاللهب ..

دفعت عنها الغطاء فى غيظ .. وتوجهت للنافذة..

تطل منها على الحديقة التى تحيط بالفيلا من جميع الجهات .. كم هى جميلة .. لم تستطع رؤيتها البارحة

فقد عم المساء .. عند وصولهم ...أما اليوم .. فسوف

تتفحصها .. وتعرف كل جزء فيها .. لكن فلتنتظر

حتى يستيقظ يوسف .. ليقوما بجولتهما معا ..

فهى حقا .. تفتقد رفقته .. وتحتاج لمن يشاركها وقتها

حتى لا تعطى نفسها اى فرصة .. لمجرد التفكير..

فى ذاك الغائب عن عينيها .. انها المرة الاولى التى

يغادرها فيها .. منذ ان جمعهما سقف واحد ..

تشعر بالخواء التام .. بغير وجوده .. كمن نزع عنها

روحها بعيدا ... وهى لا تقوى حتى على الاعتراض

أو حتى .. لديها القدرة على استعادتها .. من سارقها..

تطلعت للأفق .. الذى تتوزع فيه السحب .. هنا وهناك بغير انتظام .. يندر بطقس غير مستقر .. كحياتها..

دمعت عيناها .. وهى تهتف فى غيظ .. :- حمقاء..

نعم .. ألف ألف حمقاء ..

كيف سمحت لنفسها ان تحبه .. ؟؟!! ...

انها لا تقوى على بعده عدة ساعات من النهار ..

فكيف سيكون حالها .. عندما يرحل بعيدا بلا عودة ..؟!!

يا آلهى .. ما العمل الان ...همست فى ضعف..

كنت دوما .. ما اسخر ممن يقول ان الحب كالقدر .. لا مفر منه .. ولا أختيار فيه .. كنت دوما ما أظن .. ان قلبى

بين يدىّ.... وانا وحدى المتحكمة فيه .. انا سيده الوحيد .. حتى ظهر هو فى حياتى .. لأفقد السيطرة التى كنت أدعيها .. وأكون أكبر مغفلة فى التاريخ..

لأعشق شخص .. لا يحبنى .. وسيرحل حتما .. ويتركنى وحيدة .. ألعق جراحا .. خلفها.. جراح على فقد لن يندمل .. وستظل تلك الجراح تنزف للأبد ..

مسحت دموعها بظهر كفها .. فى عزم .. وهى تتوجه للحمام .. لعل بعض من الماء الدافئ .. يسكن بعض من ألامها .. ويعيد لها ولو بعض من روحها الوثابة .. التى تفتقدها .. كثيرا

عبر محسن بوابة الشركة .. ليهلل كل من يقابله فى فرح ..سعداء بعودته ..

حتى وصل لمكتبه .. فأبتدرته سكرتيرته بالسلام فى سعادة لقدومه .. مهنئة بالزفاف ...

لم يكد يجلس على مكتبه .. حتى انتفض فى سعادة ليلقى بنفسه فى احضان صديق عمره .. منير..

الذى كان فى قمة حبوره .. وهو يربت على ظهر صاحبه ..

-أراك رائعا بحق .. غمز منير بأحدى عينيه .. فأنطلقت ضحكات محسن فى تلقائية ..

-أنت لن تتغير ابدا ... هتف محسن فى مرح .. أنا محسن .. وسأظل محسن .. ما الذى تلحظه وقد تغير .. لا شئ .. انك تبالغ كعادتك ..

-التغير يا صديقى .. لن يلحظه الا من يعرفك ككف يده

وهل هناك من يعرفك اكثر منى .. !!... فلأرفع القبعة لمتدربتنا الصغيرة ..

-أحترس .. فأنت تتحدث الان عن زوجتى .. قالها محسن بلهجة تحذيرية ...

-مرحى .. هتف منير مقهقها ... محسن ضرغام ..يشعر بالغيرة .. أخيرا.. تحركت قطعة الحجر التى

تسكن صدرك .. وتدعوها قلباً..

-للاسف .. لكن بعد فوات الاوان .. قالها محسن بتحسر واضح .. ليتوقف منير عن ضحكاته .. وتتغير لهجته للجدية.. ويقول فى حرص منتقيا ألفاظه ...

-فى يدك أن تجعل الاوان لا يفوت .. بيدك تجعله الوقت المناسب..

-لقد انتهينا من هذا الحديث .. وأغلقناه نهائيا منير .. أليس كذلك ..!!؟؟.. هتف محسن فى حنق ..

-تعلم انى لا أتمنى لك .. الا الخير .. وكنت أعتقد انك غيرت رأيك .. أو حتى أعدت التفكير ... بسبب زواجك..

-لا شئ سيجعلنى أغير رأيي .. لا شئ .. ولا أحد ..قالها مؤكدا فى عزم .. وصلابة ..

-حسنا ..همس منير فى يأس .. ثم انتقل لمناقشة ما قد فات صديقه .. من امور العمل .. حتى يغير من دفعة الحديث عن ذاك الموضوع المصيرى .. الذى يرفض محسن مجرد حتى مناقشته ..

انتصف النهار .. ومنير لم يفارق مكتب محسن .. وقد انتشرت الأوراق .. هنا وهناك .. فوق المكتب .. وطاولة الاجتماعات الكبرى ..

أستغرقهما الامر تماما .. حتى طلب منير التوقف .. لاستراحة قصيرة .. وطلب فنجانين من القهوة ..

لتنعشهما ..

توقف محسن .. أمام نافذته الزجاجية .. وهو يحمل فنجانه.. يتصاعد منه دخانه .. ليحجب بعض من الرؤية امام ناظريه .. طل على ذاك الرصيف الذى لطالما.. وجدها عليه .. ترقص كالأطفال فى استقبال المطر ابتسم للذكرى .. وعلى الرغم منه .. شعر بشوق اليها.. ورغبة قوية .. فى ان تسكن أحضانه الان .. انها دافئة كليلة ربيعية....تدثره كمعطف من مشاعر .. لتذيب ثلوج قلبه .. تدفعه بتلقائية لإتيان تصرفات .. لم يكن يتوقع ابدا .. القيام بها .. احيانا يشعر انه يعاملها ببعض

البرود .. هو يعلم ذلك .. بل انه يقصده .. يشعر انه يحاول .. أن يفر كالمذعور من سيطرتها عليه ..

فى الصباح .. كانت آخر تلك المرات التى فر فيها..

بل انه لم يكن لديه الشجاعة الكاملة .. ليواجهها ..

كان يعلم ان نظرة واحدة إلى ذاك الوجه الصبوح..

وتلك الابتسامة الطفولية الفاتنة .. التى لا تعلم مدى تأثيرها عليه .. كل هذا كان كافيا وزيادة .. ليترك العالم كله .. يذهب للجحيم .. فى سبيل البقاء بقربها .. والتنعم

بذاك الدفء الذى تشعه عيناها... وتلك المشاعر الفياضة .. من الحنان ..والذى تمنحه مجانا ..وتنشره فيما

حولها .. كعبق عطر لا يُقاوم .. يكسبها جاذبية طاغية ..وأنوثة لا محل لها من التجاهل ..

اندفعت فى تلك اللحظة .. ذخات المطر .. ترحب به بالطرق على زجاج نافذته.. لتخرجه من شروده ..

فيترك فنجان قهوته..ويلتقط معطفه ليرتديه على عجل ومنير يهتف به ...:- ماذا هناك .. !!؟..

-سأرحل .. الان .. فلدى موعد هام ..

-موعد عمل لا اعلم عنه !!؟.....تسائل منير ... او ربما .. صمت وهو يبتسم فى حبور..وقد شعر ان ذلك الموعد المزعوم ...لقاء من نوع خاص .. فأتسعت ابتسامته ...

قاد محسن سيارته فى سرعة .. على قدر ما اتاحت له غزارة الأمطار .. انه يعلم انها الان .. تستقبلها بشوق .. وكان يود لو انه كان معها .. عند ظهور قطراتها الاولى .. ليشهد نظراتها .. وانفعالها الطفولى ساعتها ..

لقد فاتته اللقطة الاولى .. لكنه . لن يترك كل المشهد..

دون ان يشاهد حوريته من على قرب .. ويرى طقوسها الخاصة .. فى الترحيب بالمطر ..

وصل اخيرا لبوابة الفيلا .. ففتح له البواب .. ليدخل فى هدوء .. تاركا العربة .. غير عابئ بالأمطار التى بدأت تبلله ... ودار حول الفيلا .. ليقف مشدوهاً .. وهو يشاهدها تقف فاتحة ذراعيها .. كمن يستقبل حبيبا بعد طول

غياب .. لا ينكر انه شعر ببعض الغيرة .. ان تلك الحماسة .. والروعة فى الاستقبال .. ليست من أجله.. لكنه تسمر فى مكانه .. يستمتع .. بتلك الطقوس التى انقلبت الان لوصلة من المرح .. والتقافز ..

لم يستطع ان يقف متفرجا فقط .. ولا يشارك فى ذلك المهرجان من السعادة ... فاندفع اليها .. ليحملها من خصرها .. ويدور بها .. وهى تصرخ فى دهشة ..

بينما هو يقهقه فى سرور غامر .. يشاركهما أخيها يوسف .. ودادة نبيلة .. فى ضحكاتهما ..

واللذان .. انسحبا معا .. منذ لحظات ..

-كم هى رائعة نبيلة ..!!؟؟.. قالها وهو يلهث من فرط انفعاله .. وهى لا تزال معلقة بين ذراعيه ..

-ماذا .. !!؟؟... سألت فى تعجب .. وهى تنظر حيث كانت نبيلة وأخاها .. منذ ثوان ... لكنها لم تجد لهما أثرا –

لقد أخذت يوسف .. ودخلت فى هدوء .. لان ما سأقوم به الان .. لا تليق مشاهدته لأقل من ثمانية عشرة .. قالها بصوت يحمل الكثير من الأثارة .. وهو ينزلها .. حتى لامست قدماها الارض أخيرا .. ولازالت تحت أسر ذراعيه ..

-ماذا تنوى أن تفعل ..!!؟؟.. سألت .. وهى تطلع حولها فى خجل ..

-سأقبل كل ما طاله الوحل منكِ .. قالها مؤكدا فى مرح عابث ..

نظرت لنفسها .. لترى انها اصبحت كتلة من الوحل ..

الذى طالها تماما ... فتعود للنظر اليه .. وهى تدرك الان

انه مجنون حتما .. حتى يقوم بذلك .. تحت الأمطار ..

وفى قلب الحديقة ..

-حسنا .. أعلنت استسلامها .. ليخفف ضغط ذراعيه عنها ..

لتفك أسرها أخيرا .. وتفر هاربة .. ضحكاتها

تجلجل .. فرحة بانتصارها .. وقدرتها على خداعه

الا انه .. اندفع خلفها .. ليسقط فى الوحل .. قبل ان

يستطيع الامساك بها .. فيتأوه بقوة ..

فتندفع اليه مذعورة :- ماذا هناك .. هل انت بخير !!!؟؟

-أمسكت بكِ.. هتف منتصرا وهو يجذبها لتسقط معه

فى أوحاله.. خدعة بخدعة .. يا مودتى .. قالها مشاكسا أياها.. وهو يقترب منها .. والجنون يرافق نظراته العبثية.. والابتسامة لا تفارق وجهه ..

أعلنت استسلامها .. وما أن هم بتقبيلها.. حتى شهقت فى ذعر .. وهى تهتف :- حارس البوابة.... قادم..

ليلتفت هو مصدقا إدعاءها .. لتندفع للداخل ..تسبقها ضحكاتها الرنانة .. معلنة انتصارها فى خداعه ... تسابقه على الدرج ...وهو يلحق بها .. يقسم ان ينال منها .. لخداعها إياه .. للمرة الثانية ..

وصلت لباب غرفتهما .. وهى تصرخ فى اثارة .. خوفا من ان يلحق بها .. وما ان همت باغلاق الباب .. حتى ظهر على عتبته .. يدفع الباب .. ليدخل .. وضحكاته تخالط

صرخاتها... حتى تركت الباب فجأة .. دون ان يتوقع ذلك .. ليندفع للغرفة فى قوة .. ويسقط أرضا ..

لتضع كفها على فمها .. مصدومة .. ولكنها فجأة تنفجر ضاحكة .. فينظر اليها مغتاظا .. يرغب فى تسديد الحساب بالكامل .. فينهض .. لتندفع هى إلى الحمام تغلق بابه دونه.. بالمفتاح .. حتى لا يستطيع الوصول اليها .. فيقرع الباب فى قوة .. رغبة فى الانتقام وأخذ الثأر منها ..

-أفتحى الباب .. مودة .. الأن .. قالها أمرا ..

-لا .. هتفت بها قاطعة لا رجعة فيها .. وانفاسها متقطعة... صدرها يعلو ويهبط .. من تضاعف ضرباته المجنونة.. وكل ذلك الجو المحموم ..

-مودة .. مودة .. أفتحى الان .. أرجوكِ... هذا الامر الان لم يكن بنفس القوة .. قلقت ان يكون .. ليس بخير..

لكنها تذكرت كيف خدعها ... بالأسفل مدعيا المرض ..

وهى صدقته .. لا .. لن تفتح ..

نزلت تحت المياه الساخنة .. تزيل عنها تلك الأوحال التى ألتصقت بها .. وتستمتع بالارتخاء تحت رذاذ الماء الساخن .. انتهت أخيرا .. وهى ترجو من الله..

ان لا يثأر منها محسن .. على خداعها إياه .. عدة مرات .. فتحت الباب فى هدوء .. تخرج رأسها لترى أين يمكنه ان يكون ..!!!؟.. وكيف تستطيع الاحتماء منه... لكن ... عوضا عن ذلك .. وجدت جسده .. ممددا على الارض ..

اندفعت اليه فى ذعر .. تهزه كى يرد عليها .. لكن لا فائدة .. هرولت خارج الغرفة .. تصرخ على نبيلة .. لتأتى الاخيرة .. على عجل ..

مندفعة .. لتصل للغرفة فى ثوان .. لتنحنى كل منهما .. على جسده الممدد .. تحاول إفاقته .. دون جدوى..

فتتذكر منير .. فتهرع لهاتفها.. تتصل به-: ..

-سيد منير .. الحمد لله انك هنا .. قالتها وهى فى قمة توترها ..عندما رد على اتصالها ...

-ماذا هناك .. !!؟؟.. سأل مذعورا ..

-انه محسن .. لقد سقط فاقدا للوعى .. ولا اعرف كيفية التصرف .. ولا علم لى بطبيبه المعالج .. قالتها وانخرطت فى بكاء مرير ..

-حسنا أهدأى .. قالها وهو يشتعل توترا هو الاخر .. لكنه لا يحاول إظهار ذلك .. أنا فى طريقى إليك بالطبيب ...

-شكرًا لك .. انا فى الانتظار ... بسرعة أرجوك ..

أندفعت من جديد .. تساعدها نبيلة على سحب جسده .. بالكاد .. حتى وصلوا به للفراش .. بدأت فى خلع تلك الملابس المتسخة عنه .. وهى تنظر لوجهه الشاحب.. وملامحه الساكنة .. ودموعها تسيل انهارنا .. شعورها بالذنب يقتلها .. هى السبب فيما وصل اليه ..

لقد كان يستجدى ان تفتح الباب .. لكن هى ظنته يخدعها

لم تكن تدرى انه يعانى .. حد الالم الذى يجعله .. يفقد وعيه .. يا الهى .. هتفت وسط دموعها .. أحضرت منشفة مبللة بالماء الدافئ .. وبدأت تمسح على جبينه .. وذراعاه .. وتخلع عنه حذاءه الموحل ..

وللمرة الاولى .. تسأل .. كيف أتى فى مثل ذلك الوقت!!..انه منتصف النهار تقريبا .. هل كان من المفترض ان يعود فى مثل ذلك الوقت .. لينخرط فى عبثها الطفولى ... ويرهق نفسه .. وتزيدها هى .. بذلك المزاح الثقيل .. واخيرا .. تتركه وحيدا خلف الباب .. يستجدى وجودها جواره .. وهو يفقد اتصاله بما حوله

ليسقط .. فى تلك الحالة التى هو عليها الان ...

تركته ... لترتدى ما ستستقبل به الطبيب .. ومنير ..

ليصلا اخيرا .. فى الثانية التى انتهت فيها من وضع

حجابها .. وقد سمعت صوت نبيلة وهى تصعد الدرج

تدلهم على غرفتهما .. فأسرعت باستقبالهما على الباب

ودموعها لم تجف ..

ألقى منير والطبيب المعالج التحية فى عجلة .. واندفعوا

لفحص محسن.. بينما هى ظلت ترقب الوضع من احد

جوانب الغرفة وجسدها ينتفض انفعالا ورهبة .. لا

تستطيع إيقاف شلال دمعها المنهمر .. وإحساسها بالذنب

يتضاعف كل لحظة ..

أنهى الطبيب فحصه فى هدوء .. وأخذ يدون بعض الملاحظات .. وسأل دون ان يرفع رأسه .. منهمكا فى كتابة ملاحظات فحصه :- هل الصداع .. اشتد عليه فى الآونة الاخيرة .. !!؟ ..

اندفعت مودة لتجيب .. :- نعم .. لقد اصبح يشكو منه.. بشكل كبير .. حتى انه اصبح عائق ليقود العربة أحيانا كما .. وان ذلك المسكن .. الذى يتناوله .. اصبح ضعيف المفعول .. حتى انه اضطر مؤخرا .. لمضاعفة الجرعة ..

-هل لى بمعرفة مدى قرابتك من المريض ..!!؟؟.. سأل الطبيب ... وهو يرفع رأسه أخيرا .. ليواجه مودة ..

لكن منير أجاب فى سرعة عوضا عنها .. وهو يرى الاضطراب يتآكلها ..:- انها زوجته ..

-زوجته !!.. وكيف لم تقنعيه للآن بضرورة الإسراع فى تلك الجراحة .. ان كان ينوى ..

فقاطعه منير فى تلك اللحظة .. متسائلا.. و الاضطراب جليا على ملامحه .. لاحظت مودة ذلك بوضوح .. وأى جراحة تلك التى يتحدث عنها الطبيب .. وماذا كان ينوى ان يقول .. ولم يمهله منير الفرصة ليكمل حديثه

-على أية حال يا دكتور .. هل سيكون بخير ..!!؟؟..

-نعم .. حتى إشعار أخر .. وصفت له مسكّن مفعوله أقوى .. لأن الورم للاسف .. يكبر .. وذلك بدأ يؤثر على بعض

الوظائف الحيوية .. على ايه حال .. سيستفيق الان .. فى أية لحظة..

تسلم منير .. مدونة العلاج .. من الطبيب .. ثم شكره وهو يؤكد عليهم .. براحته ..

ويتبعه للخارج ..

سارت فى بطء .. حتى وصلت لجسده الممدد على الفراش بلا حراك .. وعقلها يشتعل بألف سؤال وسؤال ..جذبت عليه الغطاء ..

واندفعت فى عزم تلحق بمنير الذى كان فى طريقه لوداع الطبيب .. فطلبت منه البقاء .. لأمر هام..

سبقته لغرفة المكتب .. التى تزين جدرانها رفوف ورفوف من الكتب .. وتحمل طابعا كلاسيكيا ..

حيث الاثاث العتيق .. وتوزيع الاضواء داخل الغرفة يوحى بمزيد من الفخامة ... والراحة فى ذات الوقت

-تفضل سيد منير .. فهذا بيتك .. قالتها فى صدق نظرا لعلمها بمدى الصِلة القوية التى تربطه بزوجها

جلس هو .. وملامح وجهه تحمل مزيد من الاضطراب والتوتر .. منذ ألقى الطبيب جملته .. بخصوص الجراحة المزعومة ...

-خير ..!!؟... سأل .. وهو يتصنع الهدوء..

-أنا أعلم أنك الاقرب لقلب محسن .. فأنت صديقه منذ زمن بعيد .. وكل اسرار حياته فى جعبتك ..

-هذا صحيح .. أجاب وهو يومئ برأسه تأكيدا..

-فبالطبع .. وصمتت لثوان.. كل ما يخص مرضه .. تعلم به .. بل أكاد أجزم .. انك الوحيد الذى تعلم..

كل ما يخص مرض محسن..

لم يجب منير .. بل اكتفى بإيماءة إيجاب .. وهو يعلم إلى أين ستنتهى تلك المقدمة.. من محادثة .. لم يتوقع حدوثها .. لكنه كان يتمناها..

-إذا .. فهل بإمكانك اخبارى ... بالضبط .. عن اى جراحة .. كان الطبيب يتحدث ..؟؟!! ..

أزدرد منير ريقه فى صعوبة .. وصمت للحظات..

واخيرا قرر التحدث :- لطالما نازعتنى الرغبة فى اخبارك سرا .. ربما يكون لكِ ذاك التأثير .. الذى لم أملكه .. لجعل محسن يغير رأيه ..

-يغير رأيه بشأن ماذا ..!!؟.. سألت فى لهفة..

-حسنا... سأخبرك بكل شئ .. لكن عديني ان تخبرنى محسن بان الطبيب هو من أخطأ وأبلغك..

-حسنا .. سيد منير .. لك وعد منى بذلك ..

-الحقيقة .. كما تعلمين .. ان محسن مصاب بورم فى المخ .. هو ما يسبب له كل التداعيات التى نحن بصددها الان .. والتى كنّا نعلم .. بقرب حدوثها فى أية لحظة..

لان الطبيب أنبأ محسن بها .. اذا لم يسارع فى غضون أشهر .. بإجراء جراحة حرجة .. لاستئصال ذلك الورم ..وطبعا تلك الجراحة .. تنطوى على خطورة كبيرة.. ونسبة نجاحها منخفضة للاسف .. فرفض محسن إجراءها طبعا .. مؤكدا انه فى كلتا الحالتين .. هو ميت فلما يقضى على الأشهر المتبقاة له .. بدل من أن يغتنمها.. ليعيش ويتمتع بحياة قصيرة .. حاولنا .. أنا والطبيب إقناعه بشتى الطرق .. بضرورة المجازفة بإجراء الجراحة ... لكنه .. لم يستمع لكلينا للاسف .. وها هو يعانى .. ونحن ما بيدنا حيلة لمساعدته ..

كان يتكلم .. وملامح الصدمة ترتسم على ملامحها..

وتلك الدموع التى جفت عاودت جريانها من جديد..

فهى تشعر الان بخليط من مشاعر متناقضة .. لم تشعر بها فى حياتها ..

انه السبب الاول دوما .. فى كل ما تختبره من أحاسيس اى كان نوعها .. فهو له الفضل .. والسبق فى احداثها بداخلها ..

انها لا تعرف .. هل تبكى فرحا .. ام تصرخ حزنا..

تبكى فرحا .. ان هناك أمل .. حتى ولو ضعيف .. فى علاجه .. الذى اعتقدته مستحيلا .. وانه يمكن ان يشفى ويعاود حياته من جديد...

ام تصرخ حزنا وقهرا .. انه اخفى عنها ذلك .. وتركها بلوعتها وحزنها على فراقه الوشيك .. انه لم يثق بها كفاية .. ليخبرها بسره كاملا .. أليس من حقها .. ان تعرف .. كل ما يخفيه .. فى هذا الشأن ..

أخرجها منير من شردوها .. وصراع أفكارها .. وهو يكمل فى ثقة :- الان .. هو دورك .. لتحاولى.. إقناعه بضرورة اجراء تلك الجراحة.. وكلما كان ذلك أسرع كلما كان افضل بالطبع ..

مسحت دموعها فى عزم.... وهى تبتسم فى اصرار.. :- هذا ما يجب ان يحدث...

ابتسم منير للمرة الاولى منذ وصوله .. وهو يطالع تلك النظرة التى يغلفها العزم ..والاصرار..

واستأذن للرحيل ... وهو يشعر .. ان تلك النظرات يمكن ان تصنع الكثير .. فهل كان على حق !!!؟؟...

خرجت من غرفة المكتب .. بعد لقاءها مع منير .. وتلك الحقائق الغائبة عنها .. التى غيرت كل ما كان..

كانت شاردة الذهن .. لدرجة انها لم تنتبه لأخيها يوسف الا بعدما صعدت عدة درجات فى طريقها لمحسن للأطمئنان عليه .. فعادت ادراجها .. وقد انقبض صدرها لمرآه فى هذه الحالة من الحزن .. كانت عيناه دامعتان .. ووجهه ينطق بالأسى .. تقدمت اليه .. حتى انحنت مستندة على ذراعىّ كرسيه المدولب .. الذى ما عادت تسمع صرير عجلاته .. فهو كرسى حديث النوع ابتاعه محسن لاجله ويتحكم يوسف فى توجيهه عن طريق يد موجودة فى احد الذراعين ..

-ماذا هناك .. يا حبيب مودة ..؟؟!! .. لما هذا الحزن المرسوم على وجهك .. هل يضايقك شئ ما ..؟!! ..

انفجر يوسف باكيا .. لدرجة افزعتها.. لتنتفض واقفة وتأخذ برأسه بين ذراعيها .. ملتاعة لما يحدث..

-ماذا هناك يا يوسف ... أقلقتني ..؟!! ..

-لا أريده أن يموت .. أفعلى اى شئ .. لكن لا تدعيه يموت .. لا اريد لأبى ان يموت مرة أخرى ..

شهقت عندما وصل بكلماته المتقطعة .. والمصاحبة لبكاءه المتشنج .. ماذا يقصد ..؟؟!!... يبدو ان أمر مرض محسن قد وصله .. ألهذه الدرجة يحبه ..

طفقت الدموع من عينيها .. وهى تتشبث بأخيها ..

الذى كان جسده كله يرتج انفعالا... أيحبه لدرجة انه شبهه بأبينا.. رحمه الله ..

أه يا محسن .. انك لا تتعذب وحدك .. بل تعذب من حولك الكثيرين وانت لا تدرى .. همست بذلك .. وهى تريت على كتف اخيها .. وترفع رأسه .. لتقول فى ثقة لا تعلم من أين استمدتها:- لن يموت .. بأذن الله .. سيكون بخير .. لا تقلق .. انتبه انت لنفسك وصحتك..

اتفقنا .. ؟؟!! ..

هز رأسه موافقا ... فقبلت جبينه .. وتركته لتصعد الدرج للاطمئنان على محسن ..

دخلت الحجرة فى هدوء .. تتطلع للجسد الراقد بين الأغطية .. وقد زال شحوب وجهه قليلا .. خلعت حجابها .. واقتربت منه .. تتطلع لقسمات وجهه.. لتنحنى وتطبع قبلة على ذاك الجبين العريض ..

لتنتفض عندما سمعته يهمس:- يا له من علاج .. لقد سكنت بالفعل آلام رأسى ...

ابتسمت لعينيه ... عندما فتح جفونه ببطء .. ليطالع محياها الذى افتقده .. مد يده ليلتقط كفها .. التى مدتها بدورها اليه .. وهى لازالت سارحة فى خريطة وجهه التى تتوه فى تضاريسها .. اما عينيه .. فكانت قصة أخرى ... جلست بجواره .. وهى تقرأ تلك الرسائل التى تبعثها .. وتفك شفرتها .. وتبتسم فى حبور..

-ما الذى حدث ..؟؟!!.. سأل وهو يحاول الاتكاء قليلا للخلف برفع جذعه لاعلى .. ورأسه مسندة على احدى الوسائد خلف ظهره .. عدلت وضعها مودة بعناية..

-لقد فقدت وعيك .. وجاء منير بالطبيب .. وكتب لك مسكّن أقوى ...

لم تتفوه بكلمة أكثر .. فليس ذلك وقت الخوض فى مسألة حساسة .. كجراحته ..

-حسنا فعل .. فأنا احتاجه..بشدة .. ولكن أين منير ..؟!؟

-رحل .. عائدا للشركة .. فهناك الكثير من العمل .. هكذا قال .. عندما عرضت عليه البقاء للعشاء ..

غيرت الموضوع ... لابد انك جائع .. هل احضر لك ما تأكله ..

هز رأسه موافقا .. فأبتسمت .. وخرجت من الغرفة..

دخلت المطبخ .. لتفاجأ بنبيلة تبكى فى حرقة ..

لأبد وانه يوم البكاء العالمي ... اولا اخوها .. والآن نبيلة .. لم تتفوه بكلمة .. فقد عرفت انها تبكى لأجل محسن .. فكل من بالبيت علم بأمر مرضه ..

-هل هو بخير الان ..؟؟.. سألت نبيلة فى لوعة..

-نعم .. وطلب الطعام ايضا .. ردت مودة فى هدوء..

-اللهم لا اعتراض ... همست نبيلة وهى تجهش ثانية فى البكاء .. فتقدمت اليها مودة .. وأخذت تربت على كتفها .. الكل وجد من يواسيه .. فى حزنه وتعاسته ..

الا انت يا مودة .. قدرك هو مواساة الجميع .. ولا مواساة من احد .. رغم جرحك الغائر .. وألمك القديم ..

ونزف روحك الذى لم يتوقف ..للحظة ..

-انه ابنى الذى لم انجبه .. ربيته على يدىّ هاتين .. بعد وفاة أمه .. التى لم يهنأ بحنانها... وابوه الذى انغمس فى حزنه عليها .. ثم فى عمله .. حتى بنى تلك الامبراطورية التى أورثها لمحسن .. وها هو الان .. سيرحل .. فى ريعان شبابه ... وهو..

قاطعتها مودة .. فى اصرار :- لن يحدث بأذن الله..

صمتت نبيلة فى حيرة .. متعجبة من ردة فعل مودة ..

اعتقدت ان ذلك من اثر حزنها على محسن..

-هناك أمل .. فى ان يحيا بعد عملية جراحية دقيقة ..

لو اقتنعناه بإجرائها ..

-حقا !!... هتفت نبيلة فى فرحة .. واستطردت.. ليس

هناك من انسان قادر على إقناعه .. مثلك انتِ ...

فأنا لم أراه سعيدا .. منذ وفاة والده .. مثلما رأيته .. منذ ان

دخلتى حياته ..

-حقا ..!! .. كان دورها .. لتسأل فى دهشة..

-نعم .. وللحق منذ أخبرنى عن زواجه بكِ قبل ان ألتقيكِ.. قلقت كثيرا .. لكن منذ ان رأيتكِ.. وقد دخلتى قلبى .. وتمنيت ان تكونى بالفعل زوجته .. ابتسمت مودة للسيدة الطيبة فى امتنان ... هو بالفعل يحبكِ ..

انتفضت مودة عند سماعها ذاك التصريح .. يحبها !!.. لقد شطحت نبيلة الطيبة كثيرا .. معذورة بالطبع .. فهى لا تعلم عن صفقتهما شيئا .. وتوقعت بطيبتها .. انه حب من النظرة الاولى .. جعلهم يقدمون على الزواج بتلك السرعة .. حب .. كادت ان تنفجر ضاحكة .. انه حب أعرج .. من طرف واحد .. طرفها هى .. لكن هو .. لا

فرجل الاعمال الذى يمثله .. يحسب له دوما مقدار المكسب والخسارة .. حتى فى علاقاته الانسانية..

وعلاقته بها .. لا تزيد عن كونها صفقة ناجحة من وجهة نظره طبعا .. وإلا ما كان اقدم عليها ..

هى فقط المغفلة الوحيدة .. فى تلك المساومة .. لتدفع مشاعرها واحاسيسها .. بل قلبها وروحها .. ثمنا .. مقابل حفنة من الجنيهات .. التى تحتاجها لعلاج اخيها ..ما كان يجب ان تفعل ... لكن الامر كان خارج سيطرتها تماما .. كانت تبحر كسفينة لا تعلم وجهتها

فى وسط اعاصير هادرة من مشاعر قدمها لها .. اختبارها للمرة الاولى .. فهل كان باستطاعتها النجاة!..

تناولت الصينية .. وعليها بعض أطباق الطعام .. وخرجت متوجهة اليه .. شاردة .. تتأكلها الافكار ..

لكن فكرة واحدة فقط .. هى التى استحوذت على مجامع تفكيرها .. كيف يمكنها إقناعه .. بإجراء الجراحة..

كيف يمكنها .. ان تدفعه ليجازف .. ويغامر .. فى سبيل امل .. فى الحياة .. نعم الحياة للجميع ..

ظلت لعدة أيام حبيسة فكرة واحدة ... لا تغادر مخيلتها كيف يمكنها ان تقنعه .. بإجراء الجراحة .. فى أسرع وقت ممكن ... لقد خاصمها النوم لايام .. مسهدة..

تفكر فى اى طريق .. او وسيلة تبلغه بها ..انها على علم بأمر الجراحة .. وتحاول الضغط عليه .. ليقبل بإجرائها ..لكن كيف ..؟!!؟ ... ذاك السؤال الذى يحتاج بحق لإجابة عاجلة ...

كالعادة تسللت من الفراش .. فى هدوء حذر .. حتى لا توقظه .. لتنزل للطابق السفلى .. تعرج على غرفة اخيها .. لتطمئن على احواله ... لتجده يغط فى نوم عميق ..

فنستودعه الله .. وتخرج للمطبخ .. تحضر لها كوب من الشاى الساخن .. وتتجه لغرفة المكتب ..

حيث المكتبة التى تحتل الجزء الأكبر من مساحة تلك الغرفة .. لعلها تجد كتاب او رواية .. تدفن فيها افكارها

وهواجسها .. وتعيش ولو قليلا بعيدا عن واقعها الذى يؤثر على أعصابها ..وينهكها بمعنى الكلمة ..

او ربما تجد بين طيات احد تلك الكتب .. حل لتلك المعضلة التى تعيشها .. وتنتشلها من حيرتها ..

وتقدم لها الحل الذى تبحث عنه ..وكان سببا فى أرقها وسهادها ..

بحثت بين أرفف الكتب .. لتجدها مقسمة على أساس نوعيتها .. والعجيب ان تجد الجزء الأكبر .. يتضمن دواوين شعر..

وهل يقرأ .. محسن ضرغام .. الشعر ويتذوقه .. انها حتى لا تتخيل ذلك .. ربما كانت لأبيه .. او ربما هى موجودة .. كنوع من ادعاء الثقافة .. ورغبة فى ان تكون المكتبة شاملة لكل أفرع العلم والأدب .. حتى ولم يُقرأ منهم ولا كتاب واحد ..

وأخيرا وقعت يدها على رواية .. فجذبتها لتبدأ فى مطالعتها .. وهى ترتشف فنجان شايها الذى بدأ يبرد قليلا ..

اندمجت بسرعة فى الأحداث .. حتى انها لم تنتبه لذاك الخيال البشرى الذى يقترب منها .. الا عندما اصبح فوق رأسها .. تقريبا ..

-هل تركتينى وحيدا .. لتطالعى الروايات .. !!؟؟... قالها هامسا بجوار أذنيها .. فجعلها تجفل مذعورة .. قاذفة الرواية وهى تصرخ ..

فانفجر ضاحكا كالعادة .. فهو يعرف انها تخاف .. بل ترتعب بشدة .. لكنه اندفع ليأخذها بين احضانه مهدئا إياها...

-لا ترتعبى انه انا ... يا مودتى ..

استكانت بين ذراعيه.. وهى تلتقط انفاسها .. من فرط رعبها..

-يوما ما .. ستقتلنى ذعرا.. قالتها ..وهى ترفع رأسها لتطالع عينيه التى يغشاها النعاس ..

-لا تقلقى .. سأكون رحلت قبلها ... قالها فى تسليم عجيب .. وبنبرة لا تحمل أدنى إشارة لحزن .. او رثاء للذات .. ألهذه الدرجة .. متصالح تماما مع فكرة الموت .. وانه لابد راحل قريبا .. وأصبح ذلك .. حقيقة لا تقبل الشك .. او حتى الجدل حولها ..

جوابه ذلك .. اشعرها بمدى صعوبة إقناعه ..

وأكد لها ان المهمة .. بالفعل .. ستتطلب منها الكثير ..

-أرجوك .. لا أحب ان تأتى على ذكر ذاك الموضوع..

-أى موضوع .. تقصدين رحيلى .. ؟؟!! ..

امتعضت لتكراره الكلمة .. بمعنى أخر .. ورفع هو حاجبيه تعجبا .. لطلبها الغير مبرر ..

فغيرت هى الموضوع .. وهى تتسلل من بيد ذراعيه..

لتتجه لتلك الأرفف التى تعلوها .. دواوين الشعر .. لتسأل فى فضول :- لمن كل تلك الدواوين الشعرية..!!؟

-انها لى ... اجاب بثقة وهو يتقدم ليمرر كفه على تلك الكتيبات الصغيرة المتراصة .. فى محبة .. كأنما يحيي صديق قديم .. لم يزره منذ أمد بعيد .. فلقد استكانت ملامحه .. و طفقت على قسمات وجهه.. تعبيرات..

كانت من الروعة .. لتجعلها تقف مشدوهة أمامها..

ولا تتفوه بكلمة ..

كان هو من قطع تلك اللحظات المحسنة وهو يستطرد فى

نبرات دافئة :- انها رغبة سيطرت علىّ منذ أمد بعيد..

لكن لا أظن .. -وصمت قليلا ربما لينتقى مفرداته هذه المرة -اعتقد ان لا وقت لتتحقق.. وتصبح واقع ..

-أى رغبة ..؟!!.. سألت بفضول من جديد ..

-أحب الشعر كثيرا ... واحفظ قصائده عن ظهر قلب .. وكنت أظن أننى .. يوما ما سألقى قصيدة لأجل عينى المرأة التى ستخطف قلبى .. وتكون جديرة به ..وأنا أطلب يدها للزواج .. لكن .. كل هذا لم يتحقق .. ولا اعتقد انه سيحدث ..

سامحه الله .. هكذا همست فى نفسها .. وهى تتلقى طعنته بألم.. حاولت مداراته قدر استطاعتها ..

وحمدت الله .. انه استدار ليجلس على احد المقاعد مبتعدا عنها..

لكنها تمالكت نفسها .. ووأدت حزنها ..فى اعماق روحها .. لتهتف فى عجلة .. خوفا من التردد .. وقد واتتها الفرصة أخيرا :- لكن .. يمكنك تحقيق حلمك..

فدوما هناك فرصة ثانية .. يمكنك أجراء الجراحة التى ترفضها .. و ..

لم يمهلها لتكمل حديثها .. بل انتفض فى غضب..

تشعر بتشنج عضلات جسده من مكانها ..

كانت تتوقع .. ثورة .. ورعد وبرق ... يقصف هنا وهناك .. لكن على العكس تماما .. خالف توقعاتها..

وتقدم اليها حتى اصبح فى مواجهتها تماما .. وهى قد تصلبت فى مكانها .. لا تقوى حتى على التقهقر للخلف ..بل كأن اقدامها ملتصقة للأرض .. بنوع من الغراء الشديد الالتصاق .. ليمسك ذراعيها .. ويهزها فى قوة متسائلا :- من أخبرك .. بشأن الجراحة ..!!؟ ..

كادت تخطئ من فرط رهبتها .. ورؤيتها له .. يتحول من تلك الحالة الحالمة التى كان عليها .. للحالة المرعبة التى تراه عليها الان .. كادت بحق .. يُزل لسانها .. لتخبره بشأن منير .. لكنها تذكرت وعدها له .. فهتفت بسرعة

بنبرة مرتجفة :- انه الطبيب .. عندما كان يعاينك..

منذ عدة أيام .. أتى على ذكر تلك الجراحة..

-حسنا .. دفعها بعيدا .. وراح يجلس حيث كان .. قابعا

منذ دقائق.. وكأن شئ لم يكن ..

استجمعت شجاعتها .. لتقترب منه ...وتجلس عند قدميه

فى ود .. وهى تراه يضع رأسه مطأطأ بين كفيه.. فتضع

هى كفها على ركبته.. تربت عليها فى حنو ..وهى

تهمس:- لما لست متحمس لتلك الجراحة .. !!؟؟.

ليرفع رأسه ناظرا اليها .. بنظرات نارية .. قادرة على

تحويلها ... لهيكل متفحم فى ثوان ..

لكنها سارت فى الطريق .. ولا عودة الان .. فإما الوصول

لنهاية الدرب .. او التيه..

روحها المقاتلة .. تأبى الهزيمة امام نظراته المتوهجة ..

فإما النصر .. او الشهادة .. فى سبيل هدفها .. الحياة..

-أعتقد ان لا شأن لك بذلك الامر ..!!.. نبرته الاستنكارية كانت كفيلة بجعلها تتراجع .. لكنها تقدمت فى لامبالاة :- أنت مازلت شابا .. لما تحكم على نفسك بالموت سلفا .. قبل ان تفكر فى اجراء تلك الجراحة .. انك لم تأخذ بالاسباب ..

-لقد وطدت نفسى على قبول أمر الله ... وانا راض بقضاءه .. ومتقبل له ..

أخيرا بدأ فى الاسترسال فى الحديث ولو قليلا .. هكذا فكرت وهى تستطرد :- لكنك لم تتوكل .. انت لم تتقبل قضاء الله ..بل استسلمت ..

-بل رضيت .. هتف فى حنق .. وهو يقفزمبتعدا .. ويستطرد فى غضب هادر ... ولا طاقة لى .. لأتشبث بأمل كاذب .. ولا رغبة لى ايضا .. فى مناقشة الموضوع معكِ ... أو مع غيرك .. ومعك انتِ بالخصوص ... فمن أنتِ .. لتأتى وتقولى .. أفعل .. ولا تفعل .. انتِ هنا بصفة مؤقتة .. أنت هنا .. لا لتحاكمينى... وتعدلى من أفكارى .. انت هنا فقط لاسعادى.. وأرضاء رغباتى.. ليس أكثر ..ورجاءا .. عليك الالتزام ببنود صفقتنا.. والتى لم يكن من ضمن شروطها ...ان تملى علىّ .. كيفية التصرف .. فى شأن من شؤونى الخاصة ...

لم يكن هناك من الكلمات ما هو كاف .. لوصف حالة مودة فى تلك اللحظات .. انها الان مطعونة فى كرامتها ... وكبرياءها يعانى حد الموت..

انها رخيصة لهذه الدرجة .... هى مجرد امرأة متعة فى صورة زوجة ..

انها بالنسبة له .. ليست الا جسد لارضاء رغباته .. فى إطار شرعى .. وطرح جانبا .. روحها وقلبها وعقلها..

ان روحها تأن الان .. تحت وطأة ألم يسبق لها ان عايشته .. تبكى كرامتها المهدرة .. وكبرياءها الذليل..

وروحها التى تنزف .. حد الاحتضار..

لم تقوى على النهوض .. حيث كانت تجلس منذ لحظات تحت أقدامه فى ود .. الان عرفت ان هذا هو مكانها الطبيعى .. ان تظل دوما تحت أقدامه .. ليس من العقل ان تتطلع .. لتصبح يوما .. كتفها بكتف بجواره ..

ربما كان يقصد تلك الفاتنة التى كانت تحاول تقبيله فى حفل زفافهما .. تلك التى كان يحلم .. ان يعرض عليها الزواج .. بقصيدة شعر .. حفظها من اجل عينيها .. اما هى .. فهى ... مجرد دمية ... لارضاء الرغبات ..

اجهشت فى بكاء مرير ... تفرغ به .. كل تلك الحمم .. التى اختزنتها بداخلها .. تبكى .. وتبكى .. وكأن ليس للألم حد .. وليس للدموع ان تجف.. على ما ألت اليه حالها ..

كان فى حجرته بالأعلى .. يزرعها جيئة وذهابا .. وهو يزفر فى غضب هادر .. يكاد ان يحطم .. ما تطوله يديه .. لكنه .. لم يستطع التحكم فى نفسه اكثر .. لينفجر ضاربا الحائط فى ثورة .. بقبضة يده التى كادت ان تتهشم من شدة الضربة .. التى أوكلها كل حنقه .. وضيفه ...والاهم .. ندمه ..

ماذا فعلت أيها الاحمق ..؟!!... هكذا هتف موبخا نفسه لقد قتلتها .. دبحتها .. والآن هى تنتحب بالأسفل..

على كلماتك التى كان .. القتل بالنسبة لها اهون ألما منها .. أحمق.. كيف طاوعك لسانك .. كيف هانت عليك .. لتجرح روحها .. وتذل كبرياءها بهذا الشكل

...يا آلهى .. ما من سبيل لاسترداد الكلمات بعد التفوه بها

..؟!!.... لماذا لا نكبح جماح ألسنتنا .. عندما تهم بجرح

من يهمنا أمرهم .. من يرغبون فى محبتنا بصدق ..

ومن نحبهم .. نحن بصدق .. نعم نحبهم .. بل نعشقهم

حد الالم .. نعشقهم للحد الذى .. يمكننا ان نجرحهم..

حتى لا يتعلقوا بنَا .. حتى نرحل .. ونحن فى حل من ذنب

أحزانهم .. فى حل من ذنب قلوبهم .. فى حل من ذنب

أرواحهم التى سيقهرها الالم لفراقنا ...

هى لا تدرى .. باننى أتورط فيها ..نعم أتورط فى عشق

روحها .. وأدمان وجودها .. والتطلع لكل صباح جديد

يحمل عبقها لانفاسى.. فتوقظ فى مشاعر ظننت انها ماتت

منذ أمد بعيد .. لقد اكتشفتنى .. كقارة عشق

مفقودة.....منذ آلاف العصور .. فحطت على أرضى .. ورفعت رايات عشقها لتحتلنى .. حد الجنون ..

انى لحق أتورط فيها .. للحد الذى يوقظ الامل فى قلبى بأن أغامر .. من أجل حياة .. لا تعاش فى البعد عن ذراعيها .. حياة .. تمنيتها.. لتأتى هى فتوقظ الرغبة فيها .. فى الوقت الضائع ..

لما انتِ .. ولما الان...؟؟؟..أخذ يتسائل بعذاب

أكاد أجن... وانا اعرف انها تبكى الان .. ما جنته يداىّ.. وهى بعيدة عن مواساتى.. فأنا ما ان شعرت بعدم وجودها جوارى..جين تلمست موضعها من الفراش..الا وانتفضت بحثا عنها ... لأعود بها .. مرة أخرى ..إلى احضانى .. لتهدأ

تلك النفس العليلة .. ويشملها الرضا .. وتكسوها السكينة من جديد ..لكن بدل من ذلك ...

قذفت بها إلى ابعد ما يكون .. حيث لا يمكن استعادتها من جديد .. حيث جرح الروح الذى لا يُشفى.. ولا يمكن رتقه ... وحيث مرارة الكبرياء الذليل .. لا تذول ..ونزيف الكرامة .. الذى لا يطيب ...

كان يقف امام نافذته المعهودة .. ينظر من خلالها على العالم بالأسفل .. وخواطره بعيدة كل البعد عن ما يدور فى ذاك الشارع .. بل كانت هناك .. حيث هى..

قابعة بين جدران فيلته العتيقة .. مجروحة الروح.. محطمة الكبرياء .. من تلك الليلة المشؤومة .. والتى مر عليها .. أكثر من أسبوع ..

لم يعد يطيق البقاء بقربها وهو يراها بتلك الحالة .. التى اصبحت عليها .. وفى ذات الوقت .. لا يقوى على البعد وان يظل فى منأى عنها ..

قربها عذاب .. وبعدها عذاب أكبر .. آه لو تدرى ما

تصنعه بى ..لأرتاحت روحها .. وسكنت .. فها هو القصاص العادل .. لكل ما جناه فى حقها .. يتجرعه فى بعدها .. وفى قربها...

رشفة .. رشفة .. حد العذاب ...

لم يطيق البقاء فى المكتب .. فخرج لا يلوى على شئ يتمنى بعض الهواء النقى .. لعله يسكن سعير روحه الذى لم يهدأ .. منذ نأت عنه ..

قاد عربته .. بغير هدى .. حتى توقف فى بقعة هادئة وترجل .. ليسير قليلا .. يعب من الهواء المنعش..

على قدر ما يملأ رئتيه .. فيزفره فى قوة .. تحمل معها.. شظايا روح محترقة .. وقلب يشتعل..

كيف أمكنك النظر فى عينيها من جديد ..؟؟؟ ..

سأل نفسه ... كيف استطعت ذلك ..؟؟؟.. لم أكن اعلم انك يمكن ان تقسو .. بذاك الشكل .. !!؟..

لم أكن اقسو .. كنت خائف .. خائف منى .. وخائف عليها .. لكنى لم أقوى على البعد ... كم من الساعات حاولت النوم دونها .. فى تلك الليلة .. متظاهرا .. بان وجودها جوارى .. او بالأسفل .. لا يمثل فرقا ..

حتى اعترفت أخيرا بالهزيمة .. لأتسلل اليها .. واعود للمكتب .. لأجدها .. متكومة على نفسها .. وقد غلبها النعاس .. ودموعها لاتزل ندية على خديها..

يا آلهى .. كم كان محياها فى تلك اللحظة .. يمزقني

يعنفنى... و.. الاصعب .. ان يعاتبني .. فأنا .. بلا فخر..

سبب كل هذا العناء .. المتجسد حيًا .. على ملامحها

المستكينة فى حزن .. حتى وهى تغط فى نوم عميق..

أهذا هو الشهد الذى ستتذوقه على يديك .. !!؟ ..

أذلك الذى وعدتها به .. يوم ان استكانت بين

ذراعيك!؟؟....

حملتها فى هدوء .. لتأن بين ذراعىَ... رافضة أن تعود

لغرفتنا ..لكننى همست فى أذنيها .. أن تكف عن

التذمر... فأنا من أحدد .. أين يجب ان تكون ..

فاستكانت .. وكأن ما عاد لديها القدرة .. على الجدال..

لأضعها فى الفراش .. واسحب الغطاء عليها ..

واشعر .. وانا بجوارها.. بروحى ترتج.. لارتجاف جسدها ..

وهى تكتم شهقات بكاءها...

لا يدرك .. كم من الوقت مر عليه .. وهو هائم على

وجهه.. حتى .. شعر بقطرة ماء تسقط على خده..

انها تمطر ..!؟؟.. تسائل فى فرحة .. وعاد أدراجه

مسرعا.. ليعود للفيلا .. لعله يراها .. تسعد لاستقبال

المطر كعادتها .. يراها سعيدة .. حتى ولو لم يكن هو

سبب تلك السعادة ..

اندفع مسرعا بالعربة ... لكى يصل بأسرع ما يمكنه..

ليشهد الاحتفال .. من بدايته .. وربما .. تكون تلك

فرصة ذهبية .. ليحاول إصلاح ما يمكن اصلاحه..

وصل اخيرا .. واندفع للفناء الخلفى .. حيث تفضل دوما ان تقيم احتفالاتها .. بعيدا عن اعين .. البواب ..او البستانى ..

تسلل كعادته فى المرة الاولى .. ودفع بجسده .. ليقف على مقربة .. ينظر بوضوح .. ويمتع ناظريه ..

لكن .. لدهشته.. لم يكن هناك اى احتفال يذكر.. لم يكن هناك الا السكون ..

وصوت الأمطار يجلده .. لكونه السبب فى غياب حوريته .. اندفع .. يحتمى من الأمطار .. ليصعد درجات السلم ليدلف للداخل .. ليفاجئ بوجودها .. فى احد الأركان .. تجلس شاردة .. تحتضن أحد الكتب .. وعيونها شاخصة

لمكان بعيد .. أبعد ربما .. مما يتخيل..

اقترب فى هدوء منها .. لينحنى بقربها مستندا على يد مقعدها .. لتنتبه هى لوجوده اخيرا .. فترتبك.. وتسقط كتابها من أحضانها ... فيلتقطه هو .. ويعيده من جديد لتلك الأحضان التى يشتاقها ...ويعذبه البعد عنها .. حد الغيرة من هذا الكتاب .. الذى يحتل مكان يخصه وحده تطلع اليها .. وهو يسأل فى نبرة دافئة.. حاول ان يكسوها بالمرح :- لم تستقبلى الأمطار ... بالاحتفال كعادتك.. .. ؟؟!

-أشعر انى لست على ما يرام .. أجابت فى هدوء قاتل

-ما بكِ..؟؟!!.. انتفض فى لهفة حقيقية .. يضع كفه على جبينها .. لعل حرارتها مرتفعة .. لكنه اطمئن .. فحرارة جبينها معقولة .. لا تنبأ بالمرض .. انه يسأل وكأنه لا يدرى ما بها ... ان روحها هى العليلة ..

وليس الجسد ..

نظرت اليه .. وهى تستشعر لهفته عليها .. كانها حقيقية ونابعة من اهتمام فعلى .. لكنها بدأت توطد نفسها .. ان لا تتعشم فى المستحيل .. وان تظل تذكر حالها .. بأنها دمية .. وخيوطها بين يديه ..

وها هو يجذب احد الخيوط الان ... لتصبح بين ذراعيه

وخيط أخر ليحملها ... ليصبحا الان .. تحت زخات المطر ..اعتصرها بين ذراعيه .. وأخذ يقبل جبينها..

فجفنيها .. ثم خديها .. وأخيرا .. يفرغ صبره.. على الشفتان المرتعشتان... لكنه .. لا يرتوي... فيبتعد قليلا هامسا..وهو ينظر لعمق عينيها فى لوعة يكسوها الذهول:- أين أنتِ..؟!! ..

-أنا هنا ..سيدى .. أطيع وألبى ..أجابت فى نبرات جليدية ..

-يا آلهى ... ماذا فعلت ..؟!!.. سأل هامسا . .. فى ذعر ...ليحملها .. صاعدا بها لغرفتهما... ليضرب الباب بقدمه .. ليستمر فى حملها

حتى أنزلها .. لتجلس على احد المقاعد ..داخل حمام غرفتهما.. .. ليسأل فى اضطراب :- هل يمكنك الاعتناء بنفسكِ.... أم تحتاجين مساعدة ... !!؟؟ ..

-استطيع الاعتناء بنفسى . .. شكرًا.

خرج .. وهو يقذف سترته المبللة أرضا فى حنق ويندفع للأسفل .. ليخبر نبيلة .. ان تحضر لها مشروبا ساخنا ..وتحضره للغرفة .. اما هو .. فأنزوى داخل المكتب ... لا يدرى ما عليه فعله .. !!؟؟...

تسللت نبيلة فى هدوء الى داخل حجرة مودة .. بعد ان طرقت الباب عدة مرات .. برفق .. ولم تجيبها.. اعتقدت انها لاتزل بداخل الحمام .. ولم يصلها صوت الطرق على الباب .. لكن ما ان دلفت الى داخل الحجرة

حتى رأت مودة .. تولى ظهرها للباب .. تجلس ساهمة شاردة ..بمئزر الحمام ..الذى تلفه على جسدها الان .. وكأنها تستمد منه الدفء ...

جلست نبيلة جوارها .. وأمسكت كفها .. بين كفيها .. تدفئهما.. وتربت على كتفها فى تعاطف حقيقى ..

لم تكن تعلم ما الذى يجرى .. بين السيد وزوجته..

لكنها تستشعر شرارات ليست معتادة .. فيما بينهما..

-ماذا حدث..؟؟!...هل .. هل فاتحتيه فيما يخص الجراحة..؟!!... سألت نبيلة فى حذر..

-نعم .. قالت بصوت متحشرج وبدأت دموعها فى الهطول ..

-استنتجت إجابته ... مما يحدث بينكما .. قالتها .. وجذبت مودة برفق لاحضانها .. لتستكمل بكاءها بنحيب يمزق القلب ... لم تتفوه نبيلة بكلمة .. حتى بدأت

تهدأ عاصفة البكاء .. وترفع مودة رأسها ..عن أحضانها ... لتقول لها بهدوء .. وبتجربة سيدة ..

خبرت الحياة ..:- لاعليك يا بنيتى.. سيعيد تقييم الامر

وساعتها .. ربما يغير رأيه لأجلكِ ..

-من أجلى ..؟؟!!... قالتها مودة فى سخرية .. لا تتعشمى فى ذلك ... انا هنا فقط كـ.. -وتوقفت لتنتقى ألفاظها - كزوجة مؤقتة .. ليس لى اى حق عليه..

فقط .. ما بيننا صفقة .. لا أكثر .. لما يفعل اى شئ من أجلى ..؟؟!! ..

ابتسمت نبيلة بهدوء الواثق .. وهى تقول :- تقولين صفقة .. وزوجة مؤقتة .. ولما أنتِ.. وليست اى امرأة أخرى .. كان يعرفها .. وعلى استعداد لتقديم خدماتها..

بشكل اكثر كفاءة .. من فتاة فى مثل براءتك..؟؟!...

صمتت مودة قليلا .. لتجيب :- سألته نفس السؤال عندما عرض عليّ الزواج .. مقابل المال اللازم لعلاج أخى .. وقال انه يريد امرأة .. لا تطلب وترضى بما يقدم لها ..

-وصدقتيه..!!؟... سألت نبيلة مستنكرة ..

-ولما لا افعل ..!!؟؟ ...

اتسعت ابتسامة نبيلة .. لتقول بثقة لا تهتز:- انه يحبكِ ..

انه ابنى .. وانا ادرى به منك .. انه يريدكِ.. وما كانت تلك الصفقة المزعومة .. الا وسيلة للوصول إليك .. دون حاجته .. ليعترف بحبكِ... وانا على ثقة .. انه حتى ولو لم تكن ظروفك سمحت له بمثل ذاك الاتفاق..

لكان اخترع الف اتفاق .. حتى يصل إليكِ..

..وتكونى له...

هل حقا ما تقوله نبيلة..!!!...

....قلبها يريد ان يصدق كل كلمة....

وعقلها يرفض تصديق حرف واحد .. يعتقد انها تواسيها ليس اكثر .. تعيد لها بعض الامل .. الذى ينعش روحها .. لتستعيد مرحها .. وابتسامتها ..

-هيا ... اشربى هذا المشروب الساخن .. وعودى مودة التى اعرفها .. وكونى بجانبه .. هو يحتاجك بحق..

يحتاجك .. اكثر مما تتخيلى .. وفوضى امرك لله..

لعله يحدث بعد ذلك أمرا .. وما بين طرفة عين وانتباهتها.. يغير الله من حال إلى حال..

نهضت نبيلة بعد كلماتها التى كانت كالبلسم الشافى لآلام مودة .. ربتت على كتفها .. وخرجت من الغرفة فى هدوء ..

تناولت مودة الشراب الساخن .. لترشفه على دفعات اعادت الدفء الى أوصالها .. وارتدت ملابسها ..وحجابها .. ووقفت تبتهل بين يدىّ الله .. وما ان انتهت .. حتى وجدته جالس بجوارها .. ابتسم فى وداعة لعينيها .. وهو يمد يده ليخلع عنها حجابها..

ويضعه جانبا .. كانت تشتاقه كثيرا .. تشتاق حتى نظرات عينيه التى كانت تتجنبها طوال الفترة السابقة جذبها .. لتقبع فى احضانه.. ظهرها يلامس صدره..

ورأسها يختبئ فى شوق .. ما بين رقبته وكتفه ..

قبل ذاك الرأس فى وله .. قبلة طويلة أودعها .. شوقه

-ثمانية ايام كافية جدا لعقابى أليس كذلك

..؟؟!!..همس قرب مسامعها فى تساؤل .. يغلفه لهجة مرحة..

هزت رأسها رافضة .. وهى تدارى ابتسامة تطل على شفتيها .. فهتف مازحا:- تخادعين وانت لاتزالين على مصلاكِ... ؟؟!! ...

-حسنا ... قالتها من بين ضحكاتها .. انها كافية ..

أدارها لينظر لعمق عينيها.. وهو يقول :- سأعوض فيما بعد تلك الايام الثمانية ولن أتنازل عنها ابدا ..

فيما بعد ..!؟؟.. هل قال .. فيما بعد ....ماذا يقصد ..!؟..

سألت نفسها .. وقد طل السؤال من عينيها .. ليجيب عنه ..

فى لهجة حاسمة :- عندما يمن علىّ الله بالشفاء .. بعد

الجراحة ..

لتشهق بعدم تصديق .. تضع كفها على فمها .. وقد

طفقت الدموع من عينيها .. واخيرا .. تندفع لتطوق

عنقه.. بذراعيها .. وهى تجهش بالبكاء .. فرحة بقراره

.. ضمها اليه ... اكثر .. حتى اصبحت جزء منه

يعتصرها شوقا .. ويربت على رأسها .. حتى هدأت

تماما .. واستكانت فى احضانه .. التى اشتاقت لها كثيرا

وافتقدتها بشدة ..

خرجت من ملاذها .. تتطلع اليه .. فمد كفه .. ليمسح اثر دمع لازال يترقرق على خدها ..

-لما البكاء الان ..؟؟!!... سأل متأثراً لدموعها ..

-أتعرف لما .. شهقت وهى تجيب .. لقد استجاب الله لدعواتى..طوال الليالى الماضية..

نظر لعينيها نظرات لم تستطع تفسيرها .. ورفع كفها ليلثمها فى شوق ...ليعيد النظر لعينيها من جديد ..و يجذبها بقوة الى احضانه .. وقد شعر انه يحبها الان .. بل يعشقها .. حد اللانهاية .. لقد تذكرته فى دعاءها حتى بعد كل ما كان منه .. لقد دعت له..

وللمرة الاولى .. تترقرق الدموع فى عينيه .. عشقا..

ورغبة .. ورهبة .. وتمنيا.. ان يبقى بين ذراعيها للأبد

خرجت فى هدوء من الشركة .. تشعر بالانكسار .. لما يفعل بها هذا !!!.. لما تزوجها .. طالما هو قادر على إيجاد من يمتعه .. بعيد عن قيود الزواج والتزاماتها .. لما ..؟؟؟!!!...

ظل السؤال يطن برأسها .. وهى تندفع للسيارة .. بجوار أخيها .....الذى تعجب انها لم تحضر محسن معها :-أين محسن .. !!؟؟.. الم يرغب فى مرافقتنا لشراء الهدايا .. ؟؟! ...

-لا .. قالتها حاسمة .. هو .. مشغول للغاية .. نطقتها بسخرية مريرة .. تجز على أسنانها ... لتمنع دموع من القهر والالم .. من الانسياب على خديها .. امام اخيها..

انها كلما تذكرت ما رأته بالأعلى .. تغلى الدماء بعروقها .. وتتمنى لو حطمت رأسيهما .. لقد وصلت للمكتب .. تدعوه لشراء بعض الهدايا للخدم .. بمناسبة اقتراب احد الأعياد... دخلت تنتظره بالمكتب .. وفى اثناء ذلك .. دخلت الحمام تصلح من زينتها قبل ان يصل ... لتسمعه يدفع باب المكتب ويدخل .. قررت مفاجأته .. كما يحلو له دوما .. ويفزعها.. لكن مهلا..

انها تسمع صوت انثوى .. يتحدث معه بالخارج .. يعاتبه بنبرة تحمل الكثير من الغنج والدلال قائلا:- هل نسيت كل ما كان بيننا..؟؟ ..

-لا لم انسى .. قالها .. وكادت ان تندفع من موضع أختبائها .. لتصرخ فيهما .. لكنه اكمل .. ليقضى على ما بقى من صبرها .. والحمد لله أننى لم انسى..

انه يحمد الله على انه لازال يتذكرها .. لا .. هذا كثير

هتفت وهى تتمزق داخليا .. لتخرج فى ثبات .. هنأت نفسها عليه .. ويتفاجأ كلاهما بوجودها .. كانت تلك حبيبته السابقة .. تلك الفاتنة التى تجاهلت تحيتها يوم زفافهما .. وهى الان تضع كفها .. على صدره .. وكفه يقبع على كفها .. وكأنه يتشبث بها .. كان هو اول من تحدث... وهو يبعد كف فاتنته عن صدره فى هدوء -:

-ماذا تفعلين هنا ..؟؟ ...!!

-جئت لطلب ما .. لكنى أرى انك مشغول بالفعل .. لهجتها كانت من البرودة .. بحيث عقد حاجبيه فى تعجب .. وكأنه كان ينتظر منها ردة فعل مخالفة ..

استكملت :- على أية حال ...لقد تأخرت وكنت فى سبيلى للرحيل حالا .. أراك فيما بعد .. ثم تجاهلت تلك التى كانت تنظر اليها الان تقيمها من رأسها حتى أخمص قدميها .. وتجاهلتها مودة تماما.. وخرجت من مكتبه .. وكأن ما كان يحدث داخله لا يعنيها ..

وما ان ابتعدت قليلا .. حتى أطلقت ساقيها للريح..

لتندفع خارجا .. تكاد تختنق..من طول فترة إدعائها الثبات ورباطة الجأش..

انه لم ينسها .. ويبدو انه لن ينساها .. الم يقل ذلك

بملء فيه .. منذ دقائق ..لقد سمعت ذلك .. بنفسها..

ولا مجال لتكذيبه ..

طافت بأخيها .. عدة محال تجارية .. لانتقاء الهدايا..

كانت تعتقد ان بعضا من الإنهاك .. والانشغال قد يصرف ذهنها عن ما رأت وسمعت .. لكن هيهات .. فما ان تغفل دقيقة عن متابعة ما يدور حولها .. حتى تقفز تلك الصورة ماثلة امام عينيها .. وتتردد كلماته .. على مسامعها كأصداء لا تتوقف ..

عادت للمنزل .. لتعطى كل من فيه .. هديته .. وكم كانت فرحتها كبيرة .. انها أسعدت كل من حولها .. البستانى وحارس البوابة .. و طبعا نبيلة .. تلك المرأة الطيبة التى تدين لها .. بالكثير ...

اندفع يوسف لحجرته .. ليجرب هديته التى انتقاها بنفسه

مجموعة من الألعاب الالكترونية التى تمنى الحصول

عليها .. وهى صعدت لحجرتها .. تشعر بخواء عجيب

لا تعرف .. ماذا يحدث .. ولما يحدث ..؟؟؟؟!! ..

وأخرجت بهدوء ورتابة ما ابتاعته .. لتضعه فى خزانة

ملابسها .. لتصطدم يدها .. بهدية ما .. تذكرت انها

هديته .. والتى كانت قد اشترتها .. وحدها ... قبل ان

تذهب لمكتبه .. تدعوه لمرافقتها.. وضعتها جانبا .. على

الطاولة التى تجاور الفراش .. حيث يضع كل ما يخصه ..

من أغراض ...

مر النهار برتابة .. لا يشغل فكرها .. غيره .. ولا يشعل

النيران فى غابات قلبها .. سوى مشهده الحميمى....

وحبيبته بالمكتب .. و سؤال يلح عليها .. لما تزوجها ..؟؟!!...

وخاصة .. فى وجود حبيبة سابقة .. هى اكثر من راغبة ..فى لعب دور الزوجة المؤقتة .. !؟؟ ..

دخل الغرفة .. يتلفت حوله .. حتى وقعت عيناه عليها تطالع رواية ما .. تقدم ليقبع خلفها تماما .. ويمد يده ليغمض عينيها بكفيه .. لتنزل الرواية .. وتضع كفيها على كفيه لتزيحهما عن عينيها .. لتعاود المطالعة من جديد .. همس بجوار أذنيها :- أقرأى بصوت عال .. وانا هنا لألعب دور البطل .. بكل سرور .. قال كلماته الاخيرة .. مازحا ..

-انها رواية مرعبة ....كذبت.. وهى تضعها جانبا ..

وتكمل فى غيظ .. والبطل سيأكله الوحش فى النهاية..

ما رأيك فى هذا الدور .. !!؟...سألت وابتسامة غيظ على

شفتيها...

انفجر ضاحكا :- انتِ مخادعة .. انها رواية عاطفية ..

ليس بها ايه وحوش .. ترتعبين من مجرد الحديث عنهم...

-من أخبرك .. ان الرواية العاطفية ليس بها وحوش ..

ان بها الكثيرين.. وما اصعب ان تقابل احدهم بحياتك

الواقعية ...!!؟... قالت جملتها فى نبرات واثقة وهى

تتطلع الى عمق عينيه ..

شعر بحوارهما يأخذ منحنى لا يستطيبه .. فقال فى ود:-

أرى انك احضرت هدايا للجميع ..... ألم تنسى .. أحدهم ..؟؟...سأل وهو يقترب منها

ويسأل متخابثاً فى مرح ..لكنها ابتعدت .. وهى تشير لهديته الموضوعة بجوار الفراش .. فض الهدية من غلافها الرقيق .. وهو يتبادل النظرات بين هديته .. وبين من جلبتها لاجله ... حتى تطلع لهديته فى امتنان وفرح طاغى .. منذ متى لم يمتلك احد تلك الدواين الشعرية التى يحبها .. وللشاعر الذى يفضله ..

اقترب منها وهى على حالها .. لا تعير نظراته اى تواصل .. كانت تشعر انه يتجنب الإتيان على ذكر ما رأته وسمعته صباحا فى مكتبه ..فيتودد اليها ..

أخذها بين ذراعيه .. يقبل جبينها فى شوق .. تعجبت كيف يمكنه التلون بهذا الشكل .. كيف يمكنه التلاعب بمشاعره يوظفها كيفما شاء .. ومع من يشاء .. ليوهمه بما يريد هو فقط .. مثلما يفعل معها الان .. لو فى اى وقت اخر .. لظنت انه بالفعل يتودد اليها.. وانه حقا .. ممتن لانها لم تنساه .. بل فكرت فيه .. وفيما يحب ..

تنحنح .. وهو يبتعد عنها .. وقال فى لهجة تقريرية :-

-ان المرأة التى رأيتها .. فى المكتب اليوم .. انها ..

-لا عليك ... لست مطالب بأخبارى اى من امورك التى تخصك .. أليس هذا من بنود صفقتنا ... واذكر انك ذكرتنى ذات مرة .. أين موضعى بالضبط من حياتك..

وأشكرك على ذلك كثيرا .. لانه وفر علىّ الكثير ..

هل هذا صوت الكبرياء الجريح الذى تنطق به الان..

لم ينطق .. هو بحرف واحد .. وعلى الرغم من رغبته فى تبرير ما حدث بمكتبه .. الا انه شعر براحة اكبر عندما أزاحت عنه ذلك الحِمل .. والاهم .. هو انها لاتزال تظن به سوءاً.. تظن انه يخونها .. هذا افضل .. لها..

فلتظل على ظنها .. لتبتعد بقدر ما يمكنها عن تأثيره..

حتى لا يكون الجرح اكبر .. والمعاناة أشد .. اذا ما أراد الله .. لهما الفراق ..

-أنتِ على حق .. ما من داع.. لأبرر أفعالى لأى من كان ... انك على حق تماما .. نطقها بلهجة ثلجية غامضة .. وعلى الرغم من ذلك .. فقد شعرت بالغيظ يتملكها .. وكادت ان تنفجرسخطا عليه .. فقد توقعت ان يتمسك بأخبارها عن تلك الحقيرة التى كانت بصحبته

..ربما ليدفع عنه تهمة الخيانة .. وربما لخوفه من غضبها .. والرغبة فى التبرير لارضائها ...لكنه .. على العكس .. لم يفعل ذلك ..

اللعنة على الكبرياء الحمقاء التى دفعتها للتفوه بتلك الترهات عن عدم رغبتها فى معرفة من تكون تلك الغبية .. بل انها تريد .. وترغب .. ويقتلها الفضول لتعرف كل كبيرة وصغيرة .. عن تلك الملتوية التى كانت فى يوم ما .. حبيبته ... ستنفجر الان .. لا ..

ليس الان ..ابتعدى الان .. وحالا .. لان الانفجار سيكون عاقبته وخيمة هذه المرة ..

كان هو يراقبها من مكانه .. ويطالع تغيرات ملامح وجهها .. التى أجبرته على التبسم رغما عنه ..

ان وجهها... صفحة نقية .. شفافة ..ناقلة ببراعة لكل ما يعتمل بداخلها من صراعات .. وما يجول بذهنها من خواطر ..يطالعها الان .. مجسدة على محياها ..

استدارت .. متوجهة لباب الغرفة .. وهى تقول فى

حنق واضح :- على اى حال .. لقد اقترب ميعاد جراحتك

... وباذن الله سيمن عليك الله بالشفاء .. وساعتها ..

سينتهى كل هذا .. وتنتهى تلك الصفقة..

بالخير لكلينا .. دون مزيد من المبررات .. لأى منا ..

واندفعت خارجا .. وقد غابت الابتسامة عن شفتيه

-عمليتك الجراحية بعد عدة أيام ... فهل انت خائف..؟؟..سأل يوسف مقاطعا فى منتصف احد الألعاب الالكترونية..التى كان يستمتع بها .. بصحبة محسن الذى كان يتحين الفرص .. ليشاركه إياها ..

-نعم .. أنا خائف .. قالها دون ان ينظر ليوسف ..ثم استكمل وهو يستدير ليواجه نظرات الصبى .. متطلعا لعينيه مباشرة .. خائف جدا .. فى الحقيقة..

-اذن لا ضرر من شعور الخوف .. بما اننا رجال .. أليس كذلك ..؟؟.. استفهم يوسف ..

-لا .. قالها محسن باسما وهو يداعب رأس الصبى..

لا ضرر على الإطلاق .. فنحن بشر على ايه حال ..

-انا ايضا خائف .. فقد حدد لى طبيبى معادا لجراحتى انا ايضا ... لازال هناك متسع كبير من الوقت لأقلق ..

ابتسم الصبى .. لكن .. هذا لا يمنع انى خائف ..

احتضن محسن رأس الصبى .. وهو يربت على كتفه..

مشجعا .. وهو يقول له :- اتذكر ما أوصيتك به .. من قبل.. بشأن مودة ..؟؟ ..

صمت الفتى قليلا ... يتذكر .. ثم هز رأسه ايجابا..

-حسنا .. اعتنى بها جيدا .. كما وعدتنى .. اتفقنا يوسف..؟؟...

-طبعا .. فهى أختى .. وانا أحبها..

-وهى تحبك .. تحبك الى الحد الذى لا يمكنك يوما تخيله .. الى الحد الذى جعلها تلقى بنفسها فى دوامة مشاعر .. كانت فى غنى عنها .. انها تستحق الأفضل ..الأفضل فى كل شئ..

استمعت لتلك الكلمات الاخيرة .. وهى تقترب من غرفة اخيها ...تريده ان يقضى معها بعض الوقت .. بدل من وقته الضائع امام تلك الألعاب الالكترونية .. الذى اصبح مهووس بها..

كانت يدها على مقبض الباب .. فتسمرت مكانها .. هل حقا يراها .. تستحق الأفضل ..؟!!! ..

لكنه الأفضل بالنسبة لها .. هو الأفضل .. وسيظل دوما

وأبدا ... انها تحبه .. بل تعشقه .. بعد كل ما كان ..

بعد صراعات قلبها وعقلها .. وقراراتها بالابتعاد .. قدر الإمكان .. لكنها .. لم تستطع .. لم تقوى على مجابهة مشاعرها تجاهه .. عندما تراه .. تتهدم حصون ثباتها فى ثوان .. وتعود سيرتها الاولى معه .. انه يأسرها..

يقيدها بأغلال من عشق .. لا تستطيع منه فكاكا..

عدة أيام هى كل ما تبقى لهما معا .. تحت سقف واحد حتى يجرى تلك الجراحة ..

يا الله .. دمعت عيناها .. وهى تفتح باب الغرفة .. عازمة على مشاركتهم ألعابهم .. لن تترك لحظة تمضى

دون ان تكون قربه .. ستنسى المها المبرح .. الذى يغمر صدرها .. عندما تتذكر ما كان بمكتبه منذ يومين وتتذكر شئ واحد .. وواحد فقط .. انها تريده فى حياتها وتريد ان تُهنأ قربه .. بكل دقيقة منحها لهما القدر .. حتى إشعار أخر .. فما فى الغد .. لا يعنيها .. هى معه الان .. وقد لا يكون .. هناك غدا .. فلما لا تعيش معه الابدية فى لحظات .. فهى تحبه .. ولن تهتم بوقت..

كان ساعات او أيام....

ظهرت عند عتبة الباب .. تبتسم لهما فى عشق .. فهى الان تطالع أحب شخصين إلى قلبها .. فى هذا العالم ..

واندفعت .. تجرى فى مرح طفولى .. قبل ان تنخرط فى مشاعرها .. فتدفعها للبكاء .. لتضع نفسها .. بينهما محاولة بالاكراه .. صنع موضع لها بينهما ..

-أريد اللعب معكما ..؟؟.. قالتها فى لهجة طفلة مشاكسة

تكره الصبية على إشراكها معهم فى ألعابهم ..

-أه .. لا .. هتف يوسف فى حنق .. انت لا تعرفين كيفية اللعب .. سنضيع الوقت فى تعريفك قواعد اللعبة

-لا يخصنى .. أريد اللعب .. وانا من سيختار اللعبة التى أفضلها ..

-و ايضا تتشرطين ..؟؟.. مازال يوسف على حنقه ..وقد افقدته بتدخلها .. مشاركة محسن الذى يشتاق لها دوما .. والذى كان يشاهد الصراع بين الإخوة .. فى استمتاع وترقب .. ودهشة ايضا .. فهى المرة الاولى التى يراها فيها .. سعيدة ومنفتحة.. منذ ما يقرب من يومين .. وكأن ما حدث .. فى مكتبه وأزعجها ...

لم يكن .. عجيبة هى .. بل استثنائية .. فى كل ما يخصها .. لقد اشتاق الى حيويتها ومزاجها المرح .. الذى يليق بها كثيرا ..

-دعها تختار ما تشاء يا يوسف .. لها كل الحق فى الاختيار .. كفاها اجباراً.. فمن يجبرها على ما لا تريد

يدفع الثمن غاليا .. صدقنى.. هتف بتلك الكلمات .. وهو ينظر اليها .. وكأنما يوصل رسالة ما .. ويبدو انها تلقت الرسالة بذكاء .. علم ذلك .. عندما وجدها ترفع رأسها .. عن زر التحكم فى الألعاب .. وتنظر اليه..

نعم تلقت الرسالة .. لكنها ابدا .. لم تستطع فك شفرتها.

ماذا كان يقصد بالضبط ..؟؟... وهل دفع ثمناً غاليا.. باجبارى على الزواج به .. هل هو سعيد لذلك ..؟ .. أم انه غير راض عن مستوى الخدمة الذى قدم له ..؟ .. زمجرت وهى تهتف :- سألعب تلك اللعبة .. وألقت رسائله خلف ظهرها ..

فانسحب يوسف للخلف قليلا تاركا .. ذراع تحكمه لها..

اما هو فقد قرر منافستها .. وبدأت اللعبة ..

وابتدأ الصراع .. والصراخ يعلو .. والحماسة تزداد..

وأخيرا .. انتصرت هى .. لتملأ الدنيا صياحا .. وتشجيعا لنفسها .. على ذاك النصر الساحق .. بينما ظل هو يراقبها فى استمتاع والابتسامات تطل من عينيه .. قبل شفتيه .. حتى هدأت من تشجيعها الذاتي المحموم..

ليهتف يوسف فى محسن :- كيف تتركها تهزمك..!؟..

-انه حظ المبتدئين .. يا يوسف .. أكد محسن فى هدوء.

-بل قل حظ المحترفين ... هتفت هى فى تفاخر .. جعل الضحكات تتسرب الى شفتيه .. وهو يهمس :- على أى حال .. أنا تناسبنى الهزيمة تماما .. فالتعيس فى اللعب ..سعيد فى الحب ..

انتبهت للمرة الثانية .. عندما أتاها إشعار بأحدى رسائله .. يدق قلبها .. قبل عقلها.. لكنها لم تكن رسالة بل كانت جوابا ..على رسالته السابقة .. أحقا كانت!!..

تسألت فى شرود .. أفقدها التركيز .. لتخسر الجولة الثانية .. أمامه .. لينهض فى تثاقل .. وهو يقترب منها هامسا:- تعادلنا أخيرا .. فكلانا اصبح تعيسا فى اللعب.

وأولى لها ظهره .. مغادرا الغرفة .. دون ان يكمل جملته ..

لما لم يكملها .. فيقول .. وسعيدا فى الحب..

لما ..؟؟.. ظل سؤالا حائرا بلا جواب..

كان يتمدد على سرير المشفى .. يسلم جسده .. للمحيطين به من ممرضين وأطباء .. كل منهم يضع أنبوب ما او يقيس شيئا ما .. حتى يصبح فى أتم استعداد لدخول غرفة العمليات .. لإجراء تلك الجراحة الدقيقة..

لاستئصال ذاك الورم الذى يهدد حياته ..

لم يكن يعنيه ما يحدث حوله .. كان عقله وقلبه وروحه معها .. خارج تلك الأبواب .. متى سيراها لاخر مرة قبل ان يدخل الى حيث المجهول ينتظره .. !!؟؟.. لكن لا إجابة .. عيناه معلقة بباب الغرفة .. الذى يُفتح ويُغلق

عدة مرات .. فى حركة دؤوب ... لا تعنيه .. بقدر ما يعنيه .. تلك التى تنتظره بالخارج .. ويود لو يقفز تاركا كل ذلك وراءه.. سعيا اليها .. ليختبئ بين ذراعيها .. محتميا بهما .. من كل رعبه وهواجسه .. لما لا يدخلوها عليه .. لتهدأ تلك النبضات القوية .. لذاك القلب الملتاع .. والتى يسمعها تدق صدره كالطبول..

وتستكين تلك الروح التى تتعلق بها.. ولا ترضى فراقها فيشعر بالخواء .. جثة تنبض بقلب .. بلا روح..

كان يرفع رأسه قليلا .. لعله يلمح طيفها .. لكنه ظل حبيس هؤلاء الذين يحيطون به .. حد الاختناق..

وأخيرا .. وضعوه على السرير النقال .. ليخرجوه من الغرفة .. وصرير عجلات الفراش المتحرك به ..

تزيد من وجيب قلبه .. المشتاق لمجرد نظرة .. قبل الفراق ..

وأخيرا .. وجدها تندفع اليه .. كان هناك الكثير من الوجوه .. لكن هو لم يميز الا وجهها وكأنه .. لا يرى من حوله .. الا إياها .. حتى تكون صورتها هى اخر ما يطالعه .. قبل الرحيل .. أمسكت بكفه اخيرا

ودموعها لا تعرف للتوقف سبيلا .. تشهق فى قوة

وهى تهرول .. ملاحقة لسريره .. لم يستطع غير

النطق بكلمة واحدة :- أسف .. سامحينى..ما كان لى ان اعرضكِ لكل هذا ...

لا تعرف على ما يتأسف .. أيتأسف على أجمل أيام عاشتها .. منذ ان رحل أبويها .. ؟؟.. أيتأسف على ذاك العشق الذى ملأ روحها .. وقلبها ..؟؟.. أم يتأسف على تلك الضحكات .. والابتسامات التى منحها إياها ..وذاك الدفء .. والحنان .. بين ذراعيه ..؟؟ ..

توقف السرير المتحرك لحظات .. حتى يُفتح باب غرفة العمليات على مصرعيه .. فتوقفت هى تنظر اليه فى لوعة ..

وهى تهتف اخيرا من بين شهقات دموعها :- أحبك..

عد إلى ....أرجوك ..

كاد ينتفض عندما سمع تلك الكلمة أخيرا .. من بين شفتيها .. لكن ..أنتزعت كفه .. من بين كفها .. أنتزاعا..و أغلقت خلف سريره الأبواب..

لتفصله عنها .. ربما للأبد ..

كان منير يقف .. بالقرب منها .. يتآكله القلق والتوتر.. على صديق عمره ..لكنه يتجلد .. من أجل مودة..

التى يراها .. فى حال يرثى لها .. تقف امام باب غرفة العمليات .. لا تتزحزح .. عيناها تتعلق .. بكل شاردة وواردة.. دخلت أو خرجت .. تتمتم .. ببعض آيات من القرآن الكريم .. وبعض الادعية .. أشفق على حالها

فتقدم اليها :- مودة .. سيكون بخير .. بأذن الله .. تعالى

أجلسى قليلا .. ستفقدين وعيك بهذا الشكل ..

-لقد مرت عدة ساعات .. وما من أخبار .. ماذا يحدث بالداخل ..!!؟؟؟.. فليقل احدهم شيئا أكاد أجن ..

-تعالى .. فلتجلسى قليلا .. لم تريحى قدماكِ منذ دخل.. حتى .. تناولى قليلا من ماء .. أو احضر لك بعض العصير .. فوجهك شاحب ..

-لا أريد شيئا .. لا أريد شيئا يا رب .. وشهقت باكية.. لا أريد الا هو ..فقط هو ..

وتوقفت شهقاتها فجأة .. عندما سمعت باب غرفة العمليات .. يتحرك أخيرا .. لتخرج إحدى الممرضات

فتتلقفها مودة فى لهفة حقيقية :- أرجوكِ... أخبرينى بالله عَلَيكِ.. كيف حاله .. !!؟ ..

صمتت الممرضة لحظة .. ظنتها مودة دهراً.. حتى نطقت اخيرا فى اضطراب :- دعواتكم له .. فحالته حرجة .. واندفعت مبتعدة .. تاركة مودة تكاد تفارقها روحها .. لتظلم الدنيا امام عينيها .. وتفقد اى صلة لها بالعالم الخارجى .. وهى تسقط فى تلك البئر السحيقة تسمع من يهتف باسمها .. فى ذعر حقيقى..

لكنها .. لا تجيب .. ولا تريد ان تجيب ..

كان يشملها ذاك السكون .. والسكينة .. التى تفتقدها

ترى كل ما حولها بلون الياسمين ..بلون شعاع الشمس

..عند الشروق .. وهناك .. حيث الأفق البعيد

تراه .. يقف فى انتظارها .. لن تجعله ينتظر طويلا..

فلتذهب اليه .. تشتاقه كثيرا .. هتفت باسمه عدة مرات

لكنه لم ينصت اليها .. كان يتجه فى طريقه .. غير

عابئ بها ... وكأنه يصم أذنيه عن ندائها المتواصل..

أرجوك .. أسمع ندائي .. أرجوك عد إلىّ ..

لم يكن الا التجاهل التام .. هو الرد الوحيد الذى تتلقاه

على ندائها .. سقطت .. وبكاؤها الحار يمزق نياط قلبها ..

لما كلما أقترب منه .. يبتعد هو عنها .. وكأنه

سراب .. لن تطاله يداها ابدا ..

هتفت أخيرا.. فى تضرع .. بقلب يائس .. وروح متضرعة..

ياارب .. أجعله يسمع .. أجعله يعود ..

يا رب .. قلبى لا يحتمل فراقه .. فلا تحملنى ما لا أطيق ..

وأخيرا ..ترفع رأسها المطأطأة فى خشوع .. ليطالعها محياه

.. وهو يربت على كتفها .. وابتسامة رضا على شفتيه ..

لتفتح جفونها فجأة .. وشخص ما .. يهمس باسمها فى

تكرار ملح .. على مسامعها .. ويربت على كتفها .. فى

حنان .. لتستعيد وعيها .. بشكل متقطع .. ليطالعها..

وجه منير اولا .. ثم وجه غريب .. لا تعرفه .. على يمينها

.. يبتسم لها فى ود :- أخيرا سيدتى .. استعدتى وعيكِ ..

أين كنتِ بالله عَلَيكِ....كان طبيبا من هتف بتلك

الكلمات .. لكن ماذا يفعل هنا .. ؟!.. ولماذا هى ممدة على هذا الفراش .. ومنير يقف ينظر اليها فى قلق ..وجهه شاحب .. والقلق يتأكله .. وأخيرا استعادت وعيها بشكل كامل .. دفعة واحدة .. لتتذكر محسن.. لتقفز من مكانها .. تريد الاندفاع حيث غرفة العمليات لتطمئن عليه .. وهى تهتف باسمه ..

لكن الطبيب كان اسبق لها .. ليعيدها مرة أخرى لتتمدد على الفراش .. وهو يقول فى حزم :- لا .. لا حركة الان .. حتى تستعيدى وعيك تماما .. ونطمئن عَلَيْكِ.. وعلى طفلكِ ..

-طفلى.. ؟!؟.. سألت فى ذهول .. أى طفل .. ؟!! ..

-ألا تعرفين .. سأل الطبيب .. أنتِ تحملين طفلا عمره الان عدة أسابيع .. مبارك ..

طفقت الدموع من عينيها فجأة .. وهى تتحسس بطنها فى فرحة طاغية .. وهى تهمس ..طفل محسن .. نعم انه .. طفله .. طفلنا .. وبدأت الدموع فى الانهمار من جديد ..

كان منير قد غادر الغرفة .. ليطمئن على محسن .. ويرى ما ألت إليه أمور الجراحة .. وتركها بين يدىّ الطبيب ..

وعاد .. وهو يحمل البشرى .. عندما دخل غرفتها..

وهو يهتف فى سعادة :- لقد نجحت الجراحة .. لقد نجحت الجراحة .. يا مودة ..

-حقا ..!؟.. هتفت فى عدم تصديق .. حقا هو بخير..!؟

-نعم .. والأطباء فى سبيلهم لإخراجه .. لاحدى غرف العناية الفائقة .. حيث سيظل هناك .. ويتابعوا حالته.. حتى يستفيق .. ويعود إلينا .. بأذن الله ..

لم تنطق بحرف واحد .. فقد تذكرت فجأة ذاك الحلم العجيب .. الذى رأته .. وهى غائبة عن الوعى ..

فرفعت عينيها .. فى امتنان للسماء ..ولم تسعها الكلمات فتركت قلبها .. يفيض بما .. عجز عنه لسانها..

مرت فترة الخطر .. وانتقل محسن من عرفة العناية الفائقة ..لغرفة أخرى .. كان من المنتظر .. والمتوقع ان يستعيد وعيه فى أيه لحظة .. لكن ذلك لم يحدث

رغم تأكيد كافة الأطباء .. انه بخير .. وكل مؤشراته الحيوية .. تعمل بشكل جيد ..

كان القلق يتأكلها .. والتوتر يكسوها .. فى كل تصرفاتها .. لما لم يستعيد وعيه للأن .. هل هناك خلل ما .. كانت منذ اللحظة الاولى .. بجانبه .. لم تترك كفه لحظة واحدة .. لكنه .. لم يعد .. ظل ساكنا .. لا تسمع الا نبضات قلبه .. عبر مؤشرات تلك الأجهزة الطبية الموصولة بجسده .. والتى لم تكن تثق بها .. فتضع كفها على صدره .. لتطمئن ان قلبه لايزال نابضا ..

وجهه الشاحب.. لازال ساحرا .. يفتقد فقط لنظرات عينيه .. التى تكمل تلك اللوحة الرائعة .. لمحياه الذى

تعشقه .. فمتى تتكحل عيونها برؤية تلك العيون الصارمة ..الحالمة .. مرة أخرى ..

مدت يدها لتحتضن كفه .. ثم تنحنى فى تضرع ..تلثم وجنته .. وتبدأ فى تبادل حديثها اليومى معه .. فقد كانت

تعامله .. وكأنه واعى لكل كلامها .. فتقص كل يخطر على بالها .. من أحاديث ... واليوم لم يكن استثناءا ..

-:محسن .. كيف حالك اليوم .. !!؟.. أعرف انك بخير وأنك ستعود إلىّ قريبا .. أقصد لكلينا ..ووضعت كفه بالقرب من بطنها .. وهى تبتسم فى حبور .. نعم .. لكلينا .. انا وابنك .. ننتظرك .. كنت أريد ان أجعل هذا الخبر

الرائع .. أول بشرى لك .. عندما تستعيد وعيك ..لكن .. لم استطع ان أستأثر بالفرحة دونك .. سيكون لنا طفل محسن .. طفلنا .. أليس هذا رائعا ..!! ..

انه فى انتظارك .. يتمنى ان يسمع صوتك .. ويشعر بلهفتك فى انتظاره .. وتكون أول من يحمله بين ذراعيه عندما يصل لعالمنا ..

شهقت رغما عنها .. وهى تتطلع للجسد الممدد بلا حراك.. ودون أى استجابة .. سحبت كفها من احضان كفه التى لم تعترض كعادتها.. عندما كانت تبتعد عنه..

وتوجهت .. بكليتها لربها .. تجيب نداء الصلاة ..

انتهت .. وظلت على حالها ..تتضرع لله أملا .. ورهبة ورغبة ..فى عظيم كرمه .. وفيض عطاءه ..

تطلعت لمحسن من جديد .. وعيونها تحمل كل شوقها وعشقها .. لتعود فتحتضن كفه من جديد ..

-أشتاق إليك كثيرا .. فمتى تعود ..!؟؟.. غامت عينيها بالدموع ...وهى تسأل .. ولا مجيب ..

-حقا .. !!؟.. كان ذلك صوت متحشرج .. خارج من أعماق سحيقة .. وبجهد مضنى..

مسحت دموعها فى عجلة .. ولهفة.. وهى تطلع لمحسن الذى فتح جفونه .. بتثاقل .. وبالكاد صوته .. يخرج من حنجرته ..

-هل تحدثنى حقا .. أم أننى أهزى ..!!؟؟... سألت وهى تضحك وتبكى فى نفس ذات اللحظة ..

-لقد عدت .. أجاب فى تثاقل ..وهو يجيب بنعم مغلق جفونه .. ثم يفتحها من جديد وعلى شفتيه ابتسامة واهنة.. عدت من أجلكِ ..

انفجرت فى بكاء عاصف .. وهى تندفع تلثم كفه عدة مرات .. فى هيستريا .. ثم تتركه ..وتجرى لتصرخ كالمجنونة .. خارج باب غرفته .. لتستدعى الأطباء المشرفين على حالته ..

لحظات .. وكانت الغرفة .. تعج بالأطباء والممرضين وهى تنزوى فى احد أركان الغرفة .. تطالعه من بعيد

وقلبها يقفز فرحا .. وروحها ترفرف فى سعادة .. وتحلق منتشية حوله ... عيونها لا تفارق محياه .. متعلقة بعينيه التى مازال بريقها يأسرها ..تتمتم فى امتنان محموم .. كلمتين فقط .. الحمد لله..

واخيرا..... انفض الأطباء من حوله .... واحد تلو الاخر .. مع إعطاء التعليمات التى يجب اتباعها..

ظلت ساكنة .. لم تتحرك .. وكأن قدميها ضربت لها جذور فى الارض .. ولسانها لا ينطق حرفا واحدا..

تنظر فى وله تجاهه .. وعيونها تنطق بشوق قاتل..

يضنيها لعينيه .. كان الصمت بينهما .. صمت مشحون بالف معنى .. صمت اكثر صخباً من كل كلمات العالم

ولكن .. لم يدم هذا الصمت طويلا .. فلقد سمعا طرقات متعجلة على الباب .. واندفاع صاروخي لمنير .. وهو يهتف فى فرحة غامرة .. وعيناه تكللها الدموع :- أخيرا عدت .. حمد لله على سلامتك .. ليندفع مقبلا .. جبين صاحبه .. الذى مازال محاطا بعصابة من الشاش الأبيض الطبى ..

ربت محسن على كفه فى سرور لرؤيته ..أخيرا..

-مبارك سلامتك يا صديقى .. ومبارك خبر القادم السعيد ...

-القادم السعيد ..!!؟... من تقصد .. !؟ .. سأل محسن بتعجب .. جعل منير يتنبه لعدم معرفة محسن حتى الان .. بخبر حمل مودة لطفله .. فاستشعر الحرج .. وهو ينظر

باتجاه مودة معتذرا .. فوجدها .. تنظر للأرض فى خجل .. لا تعرف ماذا تقول .. وكيف تواجهه..بنظراتها وقد حول محسن رأسه فى بطء .. متسائلا ...

-يبدو أننى لن استطيع التحكم فى لسانى ابدا .. انا اسف ..كنت اعتقد ان مودة أخبرتك .. بخبر مولدكم القادم ..

سأصبح عماً .. قريبا بأذن الله .. هتف منير محاولا بث جو من المرح فى الغرفة .. بعد تصريحه النارى ..

تنبه محسن .. فالتفت اليه من جديد .. وهو يبتسم فى وهن .. وحول دفة الحديث .. لمواضيع اخرى تخص العمل .. والشركة .. حتى أستأذن منير .. مودعا كلاهما...

ظلت مودة على حالها من الصمت المريب الذى شملها

منذ اعلان منير المدوى ...وها هو ينظر اليها الان..

أشار اليها بالاقتراب .. وعينيه تحمل تساؤلات عدة..

لم تكن تستطيع الاقتراب .. وكأن قدميها .. أرست لها أساس فى الارض .. لا تزحزح .. واخيرا .. تقدمت فى بطء حتى اصبحت فى مواجهته .. على الجانب الآيسر من الفراش .. فمد يده لها .. كعادته دوما .. لتضع كفها فى احضان كفه ... بشوق مكسو بالترقب ..

-لما لم تطيعى امرى... ألم نتفق على عدم الإنجاب!!..

كان الان ينظر الى عمق عينيها .. وهى لا تستطيع ان تكذب امام هذا البريق الناعم المنساب من عمق تلك العيون والتى اشتاقت ليال طويلة لنظرة منهما ...

كيف تخبره .. انها تعمدت الحمل .. لانها كانت تريد نسخة اخرى منه فى حياتها ..

-أنا .. أنا أسفة .. جذبها لتقترب اكثر .. حتى وضع يده على بطنها فى فرحة طاغية .. وهو يقول فى رضا تام وعيونه تجول مشتاقة لكل لمحة من ملامح ذاك الوجه المحبب .. :- لكن انا لست أسف .. أه يا حمقائى الرائعة.. أه لو تدرين..!!؟؟...

طلت من عيونها الشقية .. تلك النظرات الفضولية التى طالما ذاب فيها ..تتسائل .. فأشار اليها .. حيث صدره لتقترب بأذنها .. واضعه إياها .. فوق قلبه الخافق..

لتلتفت يده حولها .. محتضنة إياها .. لتصبح الان بين ذراعيه .. تستكين على صدره .. الذى اشتاق لوجودها بين أضلعه .. كشوق الصحاري .. لموسم المطر..

-ألا تسمعين .. انصتى جيدا .. هناك من يناديك .. فلما لا تلبى .. هناك من غامر بين فكى الموت .. حتى يعود إليكِ.. أملا فى الحياة بين ذراعيكِ.. أحقا .. لا تسمعين .. نداءه .. يا حوريتى.. يا حورية المطر..

رفعت رأسها مصدومة .. تنظر الى عينيه المضطربة وهى تهمس مشدوهة:- أنا .. تقصدنى انا بحورية المطر .. ..؟!!

-نعم .. وابتسم فى عشق .. انها انتِ.. حورية المطر ذات المعطف الوردي .. التى خطفت قلبى.. منذ رأيتها

للمرة الاولى .. تستقبل الأمطار .. تحت نافذتى ..

وكم تمنيت ان أحظى باستقبال مماثل ..لأعيش عمرى كله بين ذراعيها ...

انها لا تصدق .. كل ما يقوله .. لها .. ومن اجلها .. هى فقط .. ..فعادت من شرودها .. لتسأل فى ترقب

مضطرب :- ولكن ما رأيته فى مكتبك ..قاطعها فى ود متفهما حاجتها لدرك اى شكوك تعتريها ... :- لا .. ليس هناك شئ يخصنى .. يعنيها ... الا المال .. بالطبع .. فغرت فاها .. مشدوهة وهو يكمل ... يومها جاءت تحاول استعادة ما كان .. عندما علمت بشأن مرضى..

كانت تترقب موتى .. لا اكثر .. وتنتظر غنيمة سهلة

من أموالى ... تلك التى لم تكفيها فى السابق .. ولم يكفيها قلبى .. لتهجرنى من أجل رجل أغنى .. يستطيع إشباع نهمها للمال .. دون قيود العاطفة الخانقة من وجهة نظرها .. تنهد فى ارتياح .. بعد ان ألقى كل ما بجعبته... وهو يتذكر ماضيه معها.. وعيونه شاردة لنقطة بعيدة .. واخيرا .. عادت لعيونه صفاءها..

وهو يعاود النظر لمودة ... ويقول فى شوق :- اما انت ..آآآه .. منكِ انتِ... لا أعلم ماذا فعلتى بى .. وبقلبى..

قلبتى موازينى... اخرجتنى عن طورى .. قمت معكِ بأمور ما كانت فى حسبانى.. كنت اصحو وأنام .. أهزو باسمك .. مودتى .. لم أكن أتمنى شيئا فى حياتى .. الا ايام أخرى .. يمن بها الله علىّ .. حتى انعم فيها بقربك

...مودتى .. انت بدمى ..تتسكعين ما بين اوردتى

وشراييني.... انتِ مخلوطة بروحى .. ..

سالت دموعها .. انهارا عند اعترافه .. دموع مشوبة

بالفرحة .. والسعادة .. التى اخيرا طرقت باب قلبها..

وغلفت روحها .. التى ترقبت وصولها طويلا ...

تقف على اعتاب الحلم والأمنية .. واخيرا .. ها هى

السعادة .. جاء دورها أخيرا .. لتنهل منها ..

استطرد هو .. وهو لازال تحت تأثير اعترافه الذى

أفضى به اخيرا .:-أحبك ..فحبك ...وكأنه ميلاد

جديد .. حب لا يحدث الا مرة واحدة فى العمر .. عشق لا

يتكرر .. لامرأة استثنائية .. لا يمكن ان تكون الا

هدية ربانية .. لأمثالى ممن انقطع بهم الامل .. فى الحب .. فى الوفاء ... و فى الحياة نفسها..

فهل أطمع يا سيدتى ..بالقدر الكثير من مودتك .. واللانهائى من حنانك.. والابدى من عشقك ..

ذاك الصمت الذى غلفهما.. كان ابلغ من آلاف الكلمات

صمت صاخب .. تسمع بين طياته .. انفجارات وشرارت

الفرحة .. تعلو كألعاب نارية .. فى سماء

الغرفة .. ونظرات عينيهما .. تتبادل حديث عشق

لا ينتهى ... واخيرا .. نطقت هى فى ولة -: ..

-أوافق ...بالطبع أوافق . .. هو يمد كفه لمحو دموعها من فوق خديها .. وهى تستطرد .. لكن هذا ليس ضمن بنود صفقتنا... سيدى..؟؟.. استكملت مازحة...

-حسنا .. قال متظاهرا بالتفكير فى مرح.. فليكن اذن عقد مدى الحياة .. وتعالت ضحكاتها .. ليكمل فى وله عقد اول شروطه .. ان احبك حد الثمالة .. وان أعشقك ولا اكتفى.. وان أريدك بكل ذرات كيانى.. عقد ..بطعم

الشوق إليك .. والرغبة فيكِ.. والتورط فى عينيك حد الضياع .. والإبحار فى حبكِ .. حد التيه ..

تلجم لسانها امام هذا السيل الجارف من المشاعر الصادقة

.. ولم يستطع لسانها الا النطق بكلمة واحدة

أودعتها كل عشقها :- أهواك .. يا عمرى ..

الخاتمة

كان صراخ الصغيرين ..يصل اليه وهو يترجل من سيارته .. ليندفع فى محبة .. ليلتقط الكرة التى قذفها احدهما .. وهو يركلها من جديد .. ليسلمها يوسف فى مرح .. ويبدأ مع محسن .. احد أشواط مباراتهما المعتادة .. ليستبد الغيظ بالطفلين ... لأنهما لم يحصلا على كرتهما.. وينفجرا فى البكاء ..

-أنتما .. ألا حل لكما .. دوما ما تثيرا غيظ الصغار .. كفا الان .. وأعيدا لهما .. كرتهما .. هكذا هتفت مودة فى

غيظ مماثل لغيظ توأمها.. المتعلقان الان ببنطالها ..

يشكوان لها .. سرقة أبوهما .. وخالهما للكرة خاصتهما ..

لكن .. لا احد يبالى بأوامرها فى هذا البيت .. فصرخت

من جديد ..:- أعيدوا الكرة .. الأن .. وإلا ..

هتف محسن ساخرا :- وإلا ماذا .. يا مودتى..؟؟ ..

-سأتى وأحضرها بنفسى .. قالتها مغلفة لهجتها ببعض

الحزم .. وهى تصرخ .. ليعلو صوتها فوق صراخ الطفلين ..

-فلتأتى اذن .. قالها محسن مشاكسا ..

لينفجر يوسف فى نوبة من الضحك .. وهو يعلم ما سيؤول

اليه الوضع ... فكم تكرر هذا المشهد ..

وكم ستتكرر النهاية بالتأكيد .. لينسحب بهدوء

حاملا الطفلين للداخل .. وهو يرى مودة تهب مندفعة لتثأر لأطفالها...

-أنهما طفلاك يا محسن .. لما تثير غضبهما..؟!.. صرخت مودة .. هات الكرة .. ولم تنتبه ان صراخ الطفلين لم يعد مسموعاً ..

-لانكِ تهتمين بهما اكثر منى .. أجاب محسن متصنعاً الحزن .. والعتاب يرتسم على محياه ..

-أنهما اطفال .. لابد من العناية بهما .. أكدت فى اصرار.. وقد هدأت نبرتها الغاضبة قليلا..

-لكنى ابنك البكر .. أليس كذلك ..؟!.. سأل محسن متخابثاً .. وهو يجذبها لاحضانه .. ويهمس فى اذنيها

وابنك البكر .. فى حاجة لقليل من الدلال .. فهيا دللينى..

انفجرت مودة ضاحكة .. وهى تراه يغار من اهتمامها بأطفاله .. لتتحرر من بين ذراعيه .. تجذبه للداخل..

وهى تقول .. :- لا بأس بقليل من الدلال .. وأتعشم الا يفسدك دلالى ...

وفجأة .. تبدأ السماء .. فى بكاءها .. لتلثم بضع قطرات

وجنتىّ مودة .. فتتوقف فى فرحة .. وهى تنظر لمحسن فى ترقب .. واستعطاف..ليتنهد فى استسلام .. فتندفع فى سعادة طفلة .. تستقبل المطر .. كيوم عيد .. ويظل هو قابع فى مكانه .. يترقبها .. وكأنه يراها للمرة الاولى .. بمعطف وردى .. تحيي المطر .. مرحبة

لم يستطع الابتعاد .. فاندفع اليها .. يتلقفها بين ذراعيه

لتنظر اليه فى عشق .. وهو يتمايل بها .. على أنغام

المطر ... وإيقاع زخاته.. يهمس فى اذنيها ..

ببضع أبيات من قصيدة .. حفظها لأجل عينيها...

حبك يا عميقة العينين

تطرف، تصوف، عبادة

حبك مثل الموت والولادة

صعب بأن يعاد مرتين

عدي على اصابع اليدين ما يأتي

فأولاً حبيبتي أنتِ، وثانياً حبيبتي أنتِ

وثامناً، وتاسعاً، وعاشراً حبيبتي أنتِ

انتهى من قصيدته .. لتفغر فاهها .. وهو يضع حول جيدها .. قلادة رقيقة .. على شكل مظلة .. ليهمس .. هذه من اجل حورية المطر ..

..واخيرا..

.....توقف المطر ..

لكن.. اى منهما .. لم يتوقف قلبه ..

....عن العشق... عن الامل .. عن الحياة..

تمت بحمد الله